أضواء جديدة
على لعبة اليمين واليسار

د. عماد الدين خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست
ايضاح
لعبة اليمين واليسار في ساحة السياسة
(١) في ميدان الصراع الدولي.
(٢) في عالمنا الإسلامي
لعبة اليمين واليسار في ساحة الآداب والفنون
(١) مع جائزة نوبل
(٢) مع الحركة السريالية
(١) الملحق الاول
(٢) الملحق الثاني

ايضاح

إن هنالك ابعادا اخرى للعبة اليمين واليسار يمكن ان نتلمس خيوطها الاساسية على مستويات ثلاثة :

١- الصراع العالمي والعلاقات الدولية المعاصرة.

٢- التطورات التاريخية للمنطقة العربية والاسلامية في العقود الاخيرة.

٣- عرض للعبة في دائرتها الادبية.

التركيز سينصب هنا على جوانب اخرى اكثر التصاقا بالواقع اعتمادا على قدر من الوثائق والمواقف والتصريحات التي ساكتفي باختيار (نماذج) منها فحسب واحيل الراغبين في الاستزادة الى مراجعها الاساسية.

ترى .. هل استكمل الموضوع اسبابه ؟

أبداً .. اذ ليس بمقدور اسرع المصورين ان يلتقط صورة الحيوان الهلامي الذي يسبح في الماء .. الحيوان ذي الخلية الواحدة .. كما انه ليس لاحد ان يطلب من سحابة في السماء ان تستقر على حالها ريثما يتاح له رسم ابعادها المدهشة !

وإلاّ أتهم بالجنون ؟!

الموصل / عماد الدين خليل

لعبة اليمين واليسار في ساحة السياسة

١. في ميدان الصراع الدولي

نشهد اليوم على مستوى العالم تطورات سريعة ، وتغيرات نوعية وكمية في العلاقات بين الكتلتين الشرقية والغربية ، او الشيوعية والرأسمالية ، وعلى كل المستويات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، وحتى الايديولوجية ، وليس هذا بمستغرب ما دامت القاعدة التي ينطلق منها المعسكران هي المادية والمنفعية (البراغماتية).

اكثر من هذا ، ان الكتلة المذهبية الواحدة تنشق على نفسها وتصطرع وفق مقاييس مادية منفعية صرفة ، بعيدا عن بداهات (المذهب) وخطوط الاستراتيجية العريضة ومستلزماتها ، الامر الذي يدفع بعضها احيانا الى ان تسعى للتقرب من خصمها في المذهب ، فتعقد معه الاتفاقات السياسية والاقتصادية ، وترسم الخرائط الاستراتيجية ، وتعدل – مجاملة منها – من بعض مواقفها العقائدية من اجل ان تكسب سلاحا اقوى ضد خصمها ذاك الذي تربطها به العقيدة المشتركة ، بل انها تذهب احيانا الى حد اتهامه بالتزييف والتزوير والمروق والتحريفية من اجل ان تبرر موقفها (المتناقض) ذاك ، وتعطي لنفسها (صك) الشرعية ساحبة اياه من خصومها الذين ينتمون الى العقيدة ذاتها .. وهذا يذكرني بما كانت تفعله المؤسسات الكنسية المتناحرة في العصور الوسطى.

إن انقسام العالم الراسمالي الى كتلتيه الكبيرتين : الولايات المتحدة واوربا الغربية، والصراع الخفي والمعلن القائم بينهما ، والذي كنا نحن ضحيته طيلة الفترة التي اعقبت سقوط الجدار العثماني وبخاصة في اعقاب قيام اسرائيل عام (١٩٤٨) .. ثم انقسام دول اوربا الغربية نفسها وتضارب سياساتها ومواقفها ، بدأ ياخذ بالازدياد منذ ستينات هذا القرن ، وبلغ درجة من الوضوح تتيح لاقل الناس وعيا سياسيا رؤية الموقف على حقيقته ، ذلك الذي كان حتى اواخر الخمسينات خافيا على الاكثريات الجماهيرية التي كثيرا ما كانت تخدع وتضلل وتدفع الى ان تدخل لعبة ماكرة لن تحصل منها على رمية واحدة !!

وكان يوازي هذا التمزق الغربي الرأسمالي تمزق في الجبهة الشرقية الشيوعية ، فهناك الاتحاد السوفيتي والصين وهنالك البانيا ويوغسلافيا .. ليس هذا فحسب ، بل ان الاتحاد السوفيتي نفسه اخذ يشهد تصدعا خطيرا في بنيانه ، كان العهد الستاليني يغطي عليه اعلاميا وبوليسيا أما العهود التالية فاخذت تغطي عليه بدخان المدافع الثقيلة وحديد الصواريخ وهي ترى زعامات الغرب تقصف بور سعيد وفيتنام بالمدافع والصواريخ وليست التجربة المجرية في اطارها القومي هي الاولى والاخيرة ، ففي بولونيا تحركت الطبقة العمالية نفسها مطالبة بوضع اكثر عدلا !! وفي رومانيا تمارس سياسات خارجية تند في كثير من الاحيان القواعد السياسية للاتحاد السوفيتي الام. وأما ما شهدته جيوكوسلوفاكيا في منتصف العقد الماضي فقد كان شيئا عجباً :

انقلاب سلمي كامل ضد كل المؤسسات الشيوعية ، سعى إلى الافادة من تجربة المجر المرة ، وكاد يصل إلى هدفه في تفتيت النظام الشيوعي هناك لولا ان وقفت المحاولة في اللحظة المناسبة ، بقوة السلاح لا بقوة الكلمة ، او اقناع المنطق الايديولوجي الذي عجز في الواقع عن ان يكون النظام الامثل والمقبول من قبل تسعة من كل عشرة قراء جيكوسلوفاكيين اعطوا رايهم بضرورة الغاء الحزب الشيوعي الواحد من البلاد(١).

ولكن اذا كان الاتحاد السوفيتي قدير على استخدام القوة لتغطية اية محاولة من محاولات الرفض داخل اوربا الشرقية ، فانه ليس بقدير على ذلك ازاء المعسكر الصيني الذي لا يملك اية وصاية عليه بأية درجة كانت ... ومن ثم كان الصراع المكشوف على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية ثم الايديولوجية التي بلغ من عنفها وتوترها ان رفعت كلاً من المعسكرين الى ان يكيل النقد المذهبي العنيف ، والتجريح المر للمعسكر الاخر فيتهمه بالتحريفية والمروق ، ويصل الامر الى اعتماد نفس الاسلحة الدعائية التي كانت موجهة يوماً ضد العالم الرأسمالي ، وها هي الان تستخدم ضد رفاق العقيدة ، رغم ما يحمله ذلك من تناقض فاضح مع صميم الفكر الماركسي.

فزعماء الصين يبتكرون عبارة (الامبريالية الروسية) فيرد الروس على هؤلاء الزعماء بالبورجوازية ، هذا في الوقت الذي تدعي فيه النبوءة الماركسية انه في المجتمع الشيوعي تختفي، وبشكل نهائي اية نزعة بورجوازية رجعية في الداخل ، اوامبريالية في الخارج. لأن الحركة الشيوعية نفسها هي (نقيض) البورجوازية والامبريالية(٢).

---

(١) اوردت صحيفة الحزب الشيوعي الجيكوسلوفاكي Rude, Pmane انها " سألت قراءها عن الغاء احتكار الحزب الشيوعي للسلطة او ابقاؤه وكان ذلك في شهر (حزيران ١٩٦٨) وذكرت ان تسعة من عشرة من القراء بالالغاء وواحد فقط من كل عشرة طالب باحتكار السلطة الحزب الشيوعي". (عن د. محمد البهي : تهافت الفكر المادي التاريخي ، ص ٤٣ ، هامش ١) .

(٢) يروي احد الباكستانيين (صديق الحسن الكيلاني) الحادثة التالية التي اوردتها مجلة الشهاب ، العدد التاسع السنة الرابعة : (كنت اتجول في مطار لاهور بانتظار قدوم ثلاثة ضيوف من فيتنام وعندما نزلوا على ارض المطار استقبلهم الاشتراكيون ، وفي وقت الاستقبال جرى نقاش بينهم وبدأوا يقولون : انت رجعي ، انت عميل للاستعمار !! وسالت نفسي من العميل منهم ؟ كلهم اشتراكيون ! وسألت احدهم ما هذا ؟ قال : الصينيون الاستعماريون قتلوا الشعب المسلم ! وقال آخر ان الروس استعماريون وانتهازيون) ولا بأس ان نشير هنا الى ملحوظة جانبية قد تلقي ضوءً على الموضوع ! تلك هي ان عددا كبيرا من زعماء الاشتراكية في باكستان – كما يؤكد الراوي المذكور – من مالكي الاقطاعات الواسعة والمزارع الغنية ، وممن لهم ارصدتهم في المصارف الكبيرة .. او على الاقل ينتمون لاباء من كبار الملاك والاقطاعيين ،فهل يستطيع التفسير المادي ان يبين لنا كيف ينبت الاشتراكيون في ارض بورجوازية مما يعكس المقولة الماركسية تماماً ؟!

وخلال هذا كله تفتح ابواب (الستار الحديدي) الذي ضربه ستالين حول روسيا ويسمح للهواء الغربي ان يدخل العالم الشيوعي فيجري فيه من التغييرات الحضارية ما لم تأذن به الماركسية .. ويخطو زعماء الروس خطوة اخرة فيوسعون نطاق علاقاتهم مع العالم الراسمالي الامريكي او الاوربي الغربي .. وتتبادل الزيارات فيذهب قادة موسكو الى واشنطن ولندن وباريس وبون ويرد زعماء هذه العواصم على زيارات بالمثل .. وتتم خلال هذا وذاك اتفاقات وتبرم معاهدات وتقام جسور بين المعسكرين تكاد تجعلهما كتلة واحدة يضمها حلف غربي مقدس بمواجهة التحفز الشرقي الخطير بعدده وطاقاته !!

وليست مسألة الاقرار القانوني الدولي لوضعية المانيا المنقسمة الى شرقية وغربية والمناقشات الدائمة حول قضية الامن الاوربي والاتفاقيات الشاملة بين امريكا وروسيا والتي توجت بزيارة نيكسون لموسكو عام (١٩٧٢) وزيارة بريزينيف لواشنطن عام (١٩٧٣) حيث ضمنت روسيا لامريكا تزويدها بمصادر الطاقة (النفط) وضمنت امريكا بالمقابل لحليفتها !! امدادها بالحبوب ، وما حدث قبل هذا ، وبعده من تنسيقات سرية مشتركة بين الحليفتين فضحت الصين جوانب عديدة منها ... اتفقات استهدفت شعوب العالم الثالث ، وبخاصة الاسلامية منها، وتقاسم مناطق النفوذ الامريكي والروسي فيها ، وفق خرائط تذكرنا بما كان يفعله الحلفاء في اعقاب الحربين العالميتين ازاء الدول المغلوبة على أمرها ... وليست تجربتي باكستان الشرقية والصراع العربي الاسرائيلي هما الوحيدتان في هذا المجال : فقد غزيت باكستان الشرقية بأيدٍ هندية تعودت ان تستجدي عطف امريكا. وباسلحة روسية سلمت الى للهند على عين البيت الابيض ورعايته. من اجل تحقيق هدف مشترك في خلق حاجز تتبناه الدولتان بوجه الصين ، وجرى الغزو تحت رقابة غير مباشرة من الاسطول السابع الامريكي الذي لم يتحرك الا بعد ان تم الغزو وسقطت (راولبندي) لكي يحمي الدولة الناشئة !! واما متطلبات حلف بغداد الاستعماري الذي تشكل باكستان احدى اعمدته فقد اهملت تماما.

وأما تجربة حزيران المريرة فلا اظن لعبتها المزدوجة تخفى على احد .. السلاح الامريكي والتآمر الاستنزافي الروسي والتوجيه الصهيوني من وراء هذا وذاك .. كانت الاسباب الكبيرة وراء هزيمتنا اذا ما اردنا ان نبحث بجد عن الاسباب.

ليست هذه الشواهد سوى نماذج فحسب لما تم فعلا بين المعسكرين ، وما سيتم في المستقبل سيكون اخطر واشمل بطبيعة الحال[٣] الامر الذي لوح لزعماء الصين بالعزلة الدولية وخوفهم من التطويق الروسي – الامريكي المشترك لنشاطاتهم ومطامحهم الحيوية فدفعهم دفعا الى الخطوة التي ما كانت تخطر على بال الصيني الشيوعي يوما : وهي ان يدعى الزعيم الامريكي الى بكين وان يقضي هناك (١٩٧٢) اسبوعا خطيرا يقول عنه (انه اسبوع غير العالم)، ولنا ان نتصور حجم القرارات التي تم الاتفاق عليها بين المعسكرين. ومساحة الخرائط التي رسمت في العاصمة التي كانت ترى في الريح الامريكية سموما يجب ان تقفل بوجهه المنافذ والابواب.

وكانت امريكا قبل هذا قد مارست مناورات غزلية محببة مع الصين في مسالة دخولها هيئة الامم المتحدة ، مضحية بحليفتها الرأسمالية (تايوان). الامر الذي اتاح للصين دخول هذه الهيئة التي كانت الى عهد قريب ترى فيها مؤسسة امبريالية تضيع في غمارها صيحات الشعوب المظلومة !!

هل ان هذه التغيرات النوعية التي تجئ على حساب متطلبات الصراع المذهبي والستراتيجي بين كتلتي اليمين واليسار الدوليتين ، تصاغ بايد ماكرة تقبع في عواصم العالم الكبرى ، وبخاصة واشنطن وموسكو[٤]. وتنسج – بمكر ودهاء يهودي – حبكة العلاقات الدولية بما يحقق مصلحتها في نهاية الامر. دونما اكتراث حقيقي ليمين رأسمالي ويسار شيوعي.

---

(٣) كتبت صفحات هذا البحث الموجز في الاشهر التي سبقت حرب (تشرين ١٩٧٣) ، وقد اكدت الاحداث التي رافقت تلك الحرب واعقبتها ، هذا الذي ذكرناه ، واغنته بمزيد من الادلة والشواهد .. وليست سياسة (الانفراج) التي دفعت المعسكرين الامريكي والسوفيتي الى التسابق لوقف الحرب وتصفية القضية الفلسطينية تصفية سلمية نهائية .. وليست موافقة روسيا على تهجير يهود الى اسرائيل استرضاء للكونغرس الامريكي ودفعه الى تأييد منح روسيا الاولوية في العلاقات التجارية سوى مثلين فحسب ضمن عشرات الامثلة بل مئاتها .

(٤) انظر ملاحق البحث.

ما دامت الاحصاءات الدقيقة تبين لنا ان اشد العقول فاعلية في سياسات الكتلتين ، وامهر الخبرات في الاحزاب الشيوعية او الديمقراطية او العمالية او المحافظة او الجمهورية انما هي يهودية صهيونية معروف بعضها ومجهول اكثرها(٥).

ان لنا ان نستنطق في هذا المجال كتابا ذا خطورة بالغة ألّفه الاميرال (وليام غاي كار) بعنوان يدل بوضوح على مضامينه (أحجار على رقعة الشطرنج) .. الا اننا يجب ان نضع في الحسبان حقيقة ان المبالغة في تصوير الخطر اليهودي وتوسيع ادوراه في امداء العالم ، وتضخيم حجمه الى حد الاساطير ، امور ليست من العلمية والجد في شئ ، وهي تقودنا ، كما قادت ولا ريب وليام غاي كار وكل الذين كتبوا عن الصهيونية الى (اسرائيليات) من نوع جديد

---

(٥) وابرز ما يبدو هذا المكر اليهودي في الانتقال عبر اللحظات المناسبة لدعم وانجاح وركوب الجبهة الاكثر ضمانا لاهدافهم كما بينا في كتب لعبة اليمين واليسار. وما دام هذا اليسار هو الفرس السباق في العقد الاخير فليكن الرهان عليه !! ونقرأ على سبيل المثال في صحيفة (الجويش اوبزرفر) اليهودية الاسبوعية التي تصدر في لندن (اذار ١٩٧٠) نقرأ حديث المجلة عن انتصار الحزب الاشتراكي النمساوي في الانتخابات العامة ، وتسليم رئيسه اليهودي الدكتور كريسكي منصب رئيس الوزراء ، حيث تقول تحت عنوان (رئيس وزراء النمسا اليهودي) : " انتصار الحرب الاشتراكي النمساوي في الانتخابات النمساوية يوم الاحد الماضي (الاول من اذار) هو امر جدير بالملاحظة (!!) اذا اخذنا في الاعتبار شيئين : هذه هي المرة الاولى التي توجد فيها حكومة اشتراكية منتخبة في النمسا ، وستكون هذه هي المرة الاولى التي يمثل فيها يهودي اعلى منصب في البلاد . فالدكتور برونو كريسكي الذي منح لقب المستشار الجديد هو يهودي سجن مرتين " وتشير المجلة كذلك الى ان والد الدكتور (الاشتراكي) كان (مديرا غنيا لاحد المصانع) !!
وفي عدد الخامس من حزيران (١٩٧٠) نشرت مجلة (اسرائيل اليوم) اليهودية تصريحا لرئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الايطالي (مايرو فيري) تحت عنوان (بقاء اسرائيل على قيد الحياة امر ضروري جدا لايطاليا) : " اعلن الامين العام للحزب الاشتراكي .. في خطاب انتخابي ان بقاء اسرائيل على قيد الحياة هو امر جوهري لسياسة ايطاليا الخارجية ، فاسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط ".
وفي عدد (٢٦ حزيران ١٩٧١) نشرت الجويش كرونيكل اللندنية على صفحتها الاولى خبرا عن عدد النواب اليهود في البرلمان البريطاني الجديد بعد انتخابات الثامن عشر من حزيران قالت فيه : " ان تسعة وثلاثين يهوديا ويهودية ينتمي ثمانية منهم الى حرب المحافظين وواحد وثلاثون الى حزب العمال (!!) قد انتخبوا في الاسبوع الماضي ، وان هذا العدد ينقص عن الرقم القياسي للاعضاء اليهود في البرلمان السابق بعضو واحد ".
ودعت جريدة (الصوت اليهودي) البريطانية قراءها ، في عددها الذي صدر قبل الانتخابات بستة ايام الى التصويت لحزب العمال الديمقراطي الاشتراكي ، ونشرت ذلك في افتتاحية في صدر صفحتها الاولى اختارت لها عنوان (لماذا نصوّت للعمال ؟) ختمتها بهذا النداء: " صوتوا للحزب الذي يعمل من اجل السلام العالمي .. صوتوا لحزب العمال) !! (انظر مجلة الشهاب ، الاعداد ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، السنة الرابعة).

تعتمد التهويل والمبالغة والتضخيم ، دون ان يكون لها رصيد كاف من الحقيقة .. وهذا ولا ريب سلاح نفسي رهيب يمكن – اذا لم نلتفت اليه – ان يطيح بمعنوياتنا وبداهات صمودنا النفسي في صراعنا مع الصهيونية ودولتها في اسرائيل في وقت نحن بامس الحاجة الى هذه المعنويات وتلك البداهات.

ان تصور الخطر اليهودي شبحا رهيبا يسيطر على العالم كله ، وتذعن لكلمته عواصم الدنيا وزعاماتها وتقطع كل يد تمتد اليه بسوء ، او كل لسان يتوجه اليه بكلمة نقد .. خدعة ماكرة يجب ان لا تمرر علينا فما اكثر ما طورد اليهود وقتلوا وشردوا وفضحوا واخمدت نيرانهم دون ان يحركوا يدا او يصنعوا شيئا. و(الجماعة) التي تسعى بايمان ويقين وتخطيط الى ان تحقق اهدافها المشروعة في هذا العالم لن يعجزها شئ يهوديا كان ام غير يهودي[٦].

إلا ان هذا التحفظ ازاء المبالغة في تصوير الخطر اليهودي يجب إلا يدفعها إلى خطأ مقابل يقوم على (التهوين) من هذا الخطر واستصغاره لان ذلك سيبعدنا عن الادراك الحقيقي المسؤول لا بعد الدور اليهودي في صراعنا الراهن مع اسرائيل ، ويصدانا عن ان نتخذ الخطوات الموضوعية الكفيلة بمجابهة الاخطار والتحديات والسعي لتجاوزها والتغلب عليها . وكيف لنا ان نهون و نستصغر اسرائيل التي تحتضنها واشنطن وتحميها موسكو من أي هجوم يهدد سلامتها قائمة بين ظهرانينا ؟ وكيف لنا ان نهون او نستصغر وبامكان أي باحث ان يجري احصاءا علميا دقيقا على زعامات الاحزاب الرئيسية في كل من امريكا والاتحاد السوفيتي ودول اوربا الغربية والشرقية على السواء لكي يرى نسبة اليهودية فيه ..

ولكن ومرة اخرى نتعلّم من منطق التاريخ ان جماعة (مؤمنة) باهدافها ساعية للوصول اليها لا يمكن ان يقفها شئ عن المضي الى ما تريد يهوديا كان ام امريكيا ام روسيا . واحرى بنا نحن امة (الوسط) الذين وعدنا الله بالنصر **(ان كنا مؤمنين)**[٧] ان ندرك هذه البديهية والا تضيع علينا وسط تهاويل واسرائيليات (القرن العشرين) .. ولا داعي بعد هذا لاقتباس شواهد من الكتاب المذكور ، وباستطاعة أي قارئ الرجوع اليه والاطلاع مباشرة على ابعاد المسالة ودقائقها.

الذي نريده من هذا العرض الموجز للمتغيرات الدولية بين الكتل المتصارعة ، هو ان نبين كيف ان مسألة (اليمين واليسار) قد تفتتت على المستوى الدولي ، في النطاق العسكري والسياسي والاستراتيدجي والاقتصادي على الاقل .. واما الايديولوجي فسيجئ حتما وقد بدات

---

(٦) ولقد جاءت حرب رمضان (تشرين) – بعد كتابة هذا البحث – لكي تقدم دليلا تاريخيا على ما يستطيع ان ينجزه (التحدي الايماني) ضد اليهودية العالمية شرط ان يظل محافظا على توتره وبعده العقيدي.

(٧) انظر الهامش السابق.

بوادره تظهر في مواقف روسيا من تيارات الحضارة الغربية ، وفي عودتها المتدرجة الى مسالة (الوازع الذاتي)[٨] في الانتاج وفي تخليها عن سياسة التوتر والعزلة والانغلاق التي سادت العقود الماضية. بل انه في بعض دويلات حلف وارشو ازداد هذا التغير المذهبي حدة ليس على مستوى السلطة فحسب ، بل على مستوى الجماهير الساحقة ، وكاد يجعل دولة كجيكسلوفاكيا تفلت من اطار الشيوعيى الروسية وترتمي – ثانية – في احضان الغرب بارادة كاملة لتسعة من كل عشرة من مثقفيها !!

وليس هذا التغير المتكامل سوى بديهة من بداهات العلاقات الحضارية ووحدتها العضوية. اذ لا يمكن ان يطرأ تغير كمي او نوعي في جانب من جوانب حضارة ما ، الا شهدت الجوانب الاخرى تغيرات موازية بنفس الحجم ..

فهذا الارتباط الحضاري العضوي مضافا اليه بداهات النفس البشرية ومتطلباتها الاساسية التي اغفلتها الماركسية خلال مرحلة التطبيق ، ثم ما لبثت ان اصطدمت بها سريعا ، هي التي تجعلنا نخمن ما سيكون عليه الاتحاد السوفيتي او غيره من الدول الشيوعية بعد عشرين او ثلاثين عاما.

والصين التي لم يكن احد يتصور امكان لقائها بامريكا وهي التي لم يمض على ثورتها الثقافية اكثر من ثمانية اعوام ، بدأت هي الاخرى تفتح الابواب .. ثم اذا بنا نستمع الى عبارات (امبريالية روسية) و(بورجوازية صينية) ، وليس بمستبعد ان نسمع في يوم قريب عبارة (الرأسمالية الروسية) و(الطبقية الصينية) !

إن هندسة عالم ما بين الحربين ، والعقد الذي اعقب اخراهما ، قد تغيرت تغيرا جذريا ، و(مواقع السياسات) الدولية اخذت تتحول كالكثبان الرملية من مكان الى مكان فما هو اليوم يميني سيصبح غدا يساريا وما هو في الغد يساري سيتحول بعد غد الى موقع في اقصى اليمين!!

انها اشبه بلعبة فقدت قواعدها وتجاوزت الالتزامات الفنية والقانونية من اجل (الربح) وحده ، فلاعبوها يغيرون مواقعهم ، والدفاع يتجاوز خط الهجوم ويتراجع المهاجمون الى مواقع الدفاع ويترك حامي الهدف شباكه لكي يذهب الى خصمه فيبعده عن مكانه ويتيح للكرة ان تدخل مرماه !

وذلك هو منطق السياسة في اغلب الاحيان ، انها تتجاوز كثيرا متطلبات المذهب ، وصرامته وجديته وترتضي المواقف الوسطية في عالم متغير لا يتنفس فيه الا من يداهن

---

(٨) انظر كتاب (مقال في العدل الاجتماعي) للمؤلف ، القسم الاول ، مؤسسة الرسالة ، بيروت–١٩٧.

ويتقرب، وينفرج ، ويتملق ، ويسايس .. لقد غدا عالمنا مسرحا للاحتراف السياسي وليس ميدانا للصراع الفكري كما كان في يوم من الايام !!

فهل لنا ان نظل متشبثين بصيغ (ساكنه) هجرها اصحابها انفسهم من يمين الى يسار ، الى يسار معتدل او يمين متطرف .. فنكون اشبه بالبلهاء الذين يدخلون لعبة لا يعرفون قواعدها، او ملكيين يحبون الملك اكثر من حبه لنفسه ويخافون على تاجه اكثر مما يخاف هو على هذا التاج ؟!

وهل لنا ان نحكم على انفسنا بالذيلية والتبعية بالتزامنا مقاييس اصطنعها غيرنا ، وتلاعب بها بخفة وسرعة لا تتيح لاشد العدائين سرعة ان يلاحقها ..؟

اما كان الاجدر بنا ان نعتمد مقاييسنا الاصيلة الاشد ثباتا ، ولكن الاكثر دينامية في الوقت نفسه ، في تحليل المواقف العالمية ، وتحديد مواقعنا من صراع الكتل والمذاهب والسياسات؟

إن القرآن الكريم يخاطبنا بوضوح **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }** (البقرة : ١٤٣) .. ويا له من منطق تتوازن فيه ، بمقياس الهي لا يخطئ ، قوى الثبات والتطور ، والسكون والحركة ، والستاتيكية والديناميكية.

ان الموقف الوسط ، ليس موقعا جغرافيا ، ولكنه استراتيجية مذهبية لا تميل الى اليمين والى اليسار ، صارمة لا تلعب السياسات بمقدراتها ، ثابتة لا تزعزعها اعاصير التاريخ.

والشهادة على الناس ، هي عمل حركي جهادي مستمر ، لن يقف او يتعثر .. انه (ثورة دائمة) تلتزم مسؤوليتها ازاء البشرية جميعا .. فتشهد عليها ، لا بمفهوم الرؤية السلبية ، ولكن بالفعل الايجابي والتغيير الدائم والانقلاب المستمر على كل وضع او حالة او صيغة لا يرتضيها الرسول (الشاهد) الذي بعثه الله الى الناس جميعا.

٢. في عالمنا الإسلامي

في داخل بلادنا نفذّت (اللعبة) بمكر ودهاء حيناً. وببلادة وغباء أحياناً .. والقلة القليلة التي نبّهت إليها. وأشارت إلى " اللاعبين الحقيقيين " ضُربت رقابها. وقطعت أيديها وأرجلها من خلاف. واسكتت بأشدّ الأساليب البوليسة خسّة ودناءة .. أما " الأكثرية " فقد ضُللت كثيراً. وخدعت طويلاً ، ومُررت عليها المؤامرات الخطيرة بكرة وأصيلاً.

ثم آن لها أن تزداد وعياً بما يحدث حولها. وأن تُفتّت ضربة حزيران كل الجدران الزائفة ، وتمزق كل الأستار التي كانت البروفات (الحقيقية) تم من ورائها .. فتظهر للشمس كل المساحات والمنحنيات المعتمة ، وتبقى مساحات ومنحنيات أخرى لا زالت تغطيها الظلال تنتظر من يكشف عنها ، لكي تقف الجماهير وجهاً لوجه أم مسؤوليتها الكاملة ، بوعي صادق لا وجل فيه ولا تضليل ، وبإخلاص مسؤول لا انتهازية فيه ولا وصولية ، وبفكر خلاّق لا تطغى عليه ملايين الأكف وهي تصفّق ببلادة ، وآلاف الحناجر وهي تهتف بغوغائية لم شهد التاريخ لها مثيلاً.

الأيدي التي ظلّت – ولا تزال – تصفّق للهزائم ، والحناجر التي هتفت – ولا تزال – لأكثر الزعماء قدرة على التضليل والتزييف ، في عصر نحن بأمس الحاجة فيه إلى الإنسان (العامل) الذي يجهد بصمت ، لا ينتظر تصفيقاً ولا هتافاً ، ولا يمارس تصفيقاً ولا هتافاً ، في أمة كادت لكثرة تصفيقها وهتافها أن تنسى بداهات العمل المخلص الجاد ، وهي الآن بأمس الحاجة إلى من يكشف لها من جديد عن هذه البداهات ، كي لا تُصفع مرة عاشرة وهي في غمرة الهتاف والتصفيق !!

***

تأخذ لعبة اليمين واليسار في عالمنا الإسلامي والعربي الراهن صيغاً مختلفة أحدها أن يسعى (الزعيم) إلى تقسيم أمته إلى كتل شتى تتراوح بين اليمين واليسار أو أن يعمقّ هذا الانقسام المهيأ قبل دفعه إلى السلطة ، ثم يستخدم كل أجهزة الدولة ومؤسساتها الإعلامية والبوليسية والتربوية والثقافية في إثارة هذه الكتل بعضها ضد البعض الآخر ، ودفعها إلى مزيد من التطاحن والتناحر .. موحياً إلى إحداها. بين الحين والآخر. إنه بسلطاته وأجهزته معها ومن ورائها ، لكي تهوي على الكتلة الأخرى ، التي يبدو للزعيم أنها تشكل خطراً ما. مباشراً ، أو غير مباشر على شخصه أو على (الجهة) التي أكرمته بالسلطة ، فتمزقها وتفتتها حتى إذا ما بدى أن الكتلة المنتصرة طعت وتجبرت ومدّت أبصارها إلى مزيد من مواقع السلطة وأجهزتها الحسّاسة. حوّل الزعيم مؤشرات السياسة تحويلاً تدريجياً صوب الكتلة المهزومة ، فأوحى لها إنه معها ومن ورائها .. وصب جام سخطه على الكتلة التي كانت إلى عهد قريب أثيرة لديه .. فيثور الصراع

من جديد بين الكتلة المندحرة وقد وجدت نفسها مطمئنة إلى إسناد السلطة وبين الكتلة التي نفيت من (الحضرة) وغُضب عليها ..

وينسى الشعب ، خلال هذا الصراع المرهق ، والتطاحن النفسي والجسدي المستمر ، سياسة الدولة ومسائلها الأساسية وقضاياها الكبرى وارتباطات وعمائها السرية ، بل ينسى أنه (يُلعب) به تلك اللعبة التي تجرعنا مآسيها وويلاتها في أكثر من بلد والتي يمكن تسميتها بلعبة " البقاء في السلطة من خلال تصارع كتل اليمين واليسار ".

وليست تجربة القاسمية في العراق (١٩٥٩-١٩٦٣) والسوكارنوية في أندونيسيا (١٩٤٩-١٩٦٦) والناصرية في مصر (١٩٥٢-١٩٧٠) سوى أمثلة بارزة لعديد من اللعبات التي ما لبثت أن انقلبت وبالاً على أصحابها .. ولكن بعد كم من السنين التي سفكت فيها دماء وأزهقت أرواح ودمرت طاقات وصرفت إمكانات في غير مواقعها الحقيقية ؟! بعد كم من السنين الضائعة ، ونحن بأمس الحاجة إلى الأيام والشهور لملاحقة المسيرة الكبيرة التي يقطعها أعداؤنا الذين ألهونا باللعبة وانصرفوا هم إلى الكدّ والجدّ في مواصلة الطريق ؟

كانت لعبة (البقاء في السلطة من خلال تصارع الكتل) تأخذ أبعاداً مختلفة ، وتعتمد أساليب عمل متنوعة تبدأ بإثارة الانشقاقات وتعميقها في جسد الأمة ، والتزام كتلة ما ودفعها إلى مراكز السلطة ، وإسنادها إعلامياً وبوليسياً ، وإهمال سائر الكتل (الوطنية) وحجب حقها المشروع في ممارسة الحكم والإدارة. ثم تزداد المسألة عنفاً فتجد هذه الكتل نفسها مطاردة مضطهدة ، مضغوطاً عليها ، مشرعة أمامها أبواب السجون والمعتقلات لكي ما يلبث ان يرمى بزعمائها فيها فيغيبوا هناك السنين الطوال ، وربما لن يعودوا أبداً .. ليس هذا فحسب بل تصل بعض هذه التجارب حداً من العنف والقهر يسمح فيه للكتلة (المحمية) ان تستخدم أدوات الدولة وأجهزتها ، فضلاً عن أدواتها الخاصة ، لسحق الكتل الأخرى وتفتيتها وتدمير قواها النفسية والمادية ... فإذا بأجهزة الإعلام سلاح رهيب يشهر في ميدان الحرب النفسية ، وإذا بالأجهزة العسكرية والبوليسية تتحول إلى مراكز للقوة تنقضّ على الكتل المضطهدة وتعمل على إفنائها وتشتيتها وتصفيتها جسدياً ، هذا فضلاً عما تمتلكه تنظيمات الكتلة المحمية من قوى وأدوات تسلطها على المعارضين بأقصى درجات العنف والقسوة كي تقتلعهم من مواقعهم ... ويصل الأمر – أحياناً – حداً من التسيب والانفلات ، تتجاوز فيه الكتلة المحمية حدود النظام ومقاييس السلطة ، فتنطلق في نشاط فوضوي لتحقيق أهدافها في سحق المعارضة بأسرع وقت مستطاع ، فيتنشر الخوف والهلع في أرجاء البلاد ، ويتسرب إلى أعماق النفوس ، وتسود الأجواء موجة من الرعب البوليسي الذي يأخذ الناس بالظنة ويعاقبهم على التهمة – قبل ان تثبت – أبشع أنواع العقاب.

وخلال هذا الرعب والفوضوية تكبت الطاقات الإيجابية المبدعة ، والجهود المخلصة المسؤولة ، ويطفو على السطح كل الانتهازيين والوصوليين وسط مظاهر الغوغائية والتهريج ،

لكي يكونوا هم (المواطنين الحقيقيين) رغم أنهم لا يقدمون لوطنهم عملاً ذا قيمة ، ورغم انهم يُعتمدون – لغفلتهم – كأدوات لتحريك اللعبة إلى غايتها. اما سائر الناس ممن لا يقبلون على أنفسهم التزييف والتهريج فهم خونة وجواسيس وعملاء وبورجوازيون وخونة للشعب ، يجب حجب الحرية عنهم وسحقهم.

وخلال هذا كله تكون اللعبة قد مرّرت ونسي المواطنون وهم في غمرة اصطراعهم القاسي المرير هذا ، المواقع الحقيقية للسلطة التي تحكمهم ، وللزعيم الذي يتجبر فيهم ، وللقوة التي مكنت هذا الزعيم من الوصول إلى السلطة لقاء ثمن عالٍ يغدو من الصعوبة بمكان تقدير حجمه الحقيقي.

ان أخطر مافي هذه اللعبة إنها تقضي على الصيغة الثنائية العادلة بين الحاكم والمحكوم، بين أمة تريد وحاكم ينفّذ ، بين جماعة تعارض وسلطة تذعن ... ويستحيل على حاكم تقف أمته موحدة إزاءه لكي تقول له (لا) .. ان يواصل بقاءه في السلطان دون ان يكترث للكلمة التي تنطلق من حناجر المواطنين جميعاً ، مباشرة او على ألسنة مندوبيهم .. من ثم كان المفتاح الحقيقي لتدمير هذه العلاقة الطبيعية بين الطرفين ، هو تنفيذ اللعبة المعروفة ، وهي تمزيق الشعب الواحد ، والتزام إحدى كتله لكي تقف إلى جانب الزعيم بمواجهة الكتل الأخرى ..

وما دامت هذه الكتلة تنتمي إلى الشعب نفسه ، فإن الخطر سيجيء هذه المرة ، ليس من أجهزة الدولة ومراكزها الفوقية التي لن تستطيع – مهما طغت وتجبرت – أن تقهر (من الخارج) شعباً بأسره فحسب ، لكنه يجيء (من الداخل) من بين صفوف الشعب نفسه. من داخل كل دار ، وقلب كل جماعة ، ومنطف كل طريق .. وستمارس حينذاك بوليسية مركبّة ، تجيء من سلطة حكومية يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، ومن كتلة شعبية تلتزمها السلطة لا يمكن بحال رؤيتها بالعين المجردة ، فهي مستعدة في كل لحظة لطعن أي مواطن من الخلف في وقت لا يتصوّر فيه أن أحداً يمكن أن ينقض عليه أو أن رقابة ما يمكن أن تسد عليه الطريق.

ومن ثم يجد الحاكمون ، من خلال التزام كهذا ، فرصة ممتازة لحماية أنفسهم بسياج اقوى بكثير مما لو بقوا بمواجهة شعوبهم وفق تلك الصيغة الثنائية الطبيعة ، بسياج يتمثل بكتلة من قلب الشعب تُحتوى وتلتزم ، تجد نفسها تتضخّم يوماً بعد يوم بما ينضاف إليها من انتهازيين ووصوليين هم في الغالب الكتلة الأكبر دائماً في عالمنا الثالث ، ولنا أن نتصور حجم اللعبة وأبعاد المآسي التي تنفجر عنها.

فإذا ما طفّ الصاع ، وطغت الكتلة المحتواة وبغت ، وجاوزت كل حدّ ، واصبحت تشكل خطراً حاسماً لا على المعارضة فحسب بل على النظام والسلطة نفسهما .. أخذ الحاكم يتأرجح كالبندول لكي يحول مؤشرات الدولة إلى كتلة أخرى ، قبل أن يفلت الزمام .. فيصطنع حادثة ما ، أو يفجّر واقعة من الوقائع ، أو يدفع الكتلة المحتواة نفسها إلى الوضع الذي لا

مطمح وراءه ، والذي يدين الكتلة بما لا يقبل جدالاً .. ثم يقول للناس إنه لم يعد ثمة مجال لإيقاف الفوضى عند حدها ، ولإزاحة مراكز القوة في الدولة ، كيلا تغدو خطراً على النظام ، إلاّ بضرب هذه الكتلة التي (أساءت التصرّف) !! وما يلبث أن يقع اختياره على كتلة أخرى من سلّم اليمين واليسار لكي يحتويها ويمنحها أجهزة لدولة وتأييدها وحمايتها ، ويضرب بها سائر الكتل المعارضة ، ويستمر ، هو ، في الحكم ، سنين أخرى !!

لقد كان حكامنا يتأرجحون دائماً ، بما تقتضيه اللعبة المرسومة في الخارج ، بين اليساري باسم الجماهيرية والتقدمية وحماية حقوق العامل والفلاح ، وبين اليمين باسم الإصلاح والاعتدال والواقعية والاشتراكية الرشيدة وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص وتجاوز منطق الطغرات والخطوات المرتجلة التي تجرّ البلاء على البلاد ..

دائماً كانوا يتأرجحون ، ودائماً كانوا يجدون المبررات الجاهزة والأعذار الرمسومة لهذا التنقل بين الواقع اليسار واليمين. دون أن يتحقق للأمة خلال هذا التنقل أي مكسب حقيقي يمكنها من ملاحقة الشعوب المتقدمة. ويقصّر من المسافات المتطاولة بينها وبين تلك الشعوب[٩].

---

(٩) في التجربة القاسمية في العراق – على سبيل المثال – استخدم الحزب الشيوعي العراقي بكافة قواعده التي كانت تسمى آنذاك (أوسع الجماهير) كأداة ممتازة في اللعبة البريطانية التي نفذها الزعيم والتي كانت وراء كل المآسي والمذابح التي شهدها الشعب العراقي عام (١٩٥٩) الأسود ، وبخاصة مذبحتي الموصل (آذار ١٩٥٩) وكركوك (تموز ١٩٥٩). فقد احتوى الزعيم هذا الحزب الذي يقال ان بعض قياداته كانت تتعامل مع أجهزة الاستخبارات البريطانية مباشرة ، والتزمه التزاما كاملاً لكي يسحق به القوى الوطنية والقومية والإسلامية التي يراها تشكل خطراً على زعامته وتفرده. وسرعان ما سلمت المراكز الحساسة للشيوعيين في كافة مرافق الدولة ، بما فيها أجهزة الاستخبارات والمؤسسات الإعلامية التي أفادوا منها أشد الفائدة. ثم ما لبثوا أن بدأوا يتجاوزون الحد المقرر ، سيما في أعقاب دورهم المعروف في إخماد ثورة الشواف وما أعقبها من مذابح ، وطرحوا شعار المشاركة في الحكم ، وراحوا يهتفون في مسيراتهم الضخمة في (١ آيار) والتي بلغت ما يقرب من نصف المليون أكثرها من الانتهازيين والخائنين والمتملقين : (حزب الشيوعي في الحكم مطلب عظيمي) !! وحينذاك أخذ الزعيم يقودهم بالتدريج إلى (المصيدة) التي نصبها لهم ، ودفعهم دفعاً إلى ممارسة الواقعة التي أكدت للشعب أنهم عصابة جزارين وليسوا حزباً عقائدياً ، فكانت مذبحة كركوك ، وكان خطاب الزعيم الذي جاء بمثابة إعلان رسمي لتخليه عن التزامهم وطرحهم طرح النواة لكي يلاقوا مصيرهم ازاء غضبة الشعب .. ثم راح يتلفت لاحتواء كتل أخرى فكانت تجربته مع الحزب الوطني الديمقراطي التي توجت بمسيرة النصف مليون في العام التالي !! والتي طرح فيها شعار التنكيل بالشيوعيين فكانت آلاف الحناجر الفلاحية تنادي ، وهي تمر من تحت منصة الزعيم العالية في وزارة الدفاع : (بس اضرب حزب الشيطان يا كريم) .. وحزب الشيطان هو الحزب الشيوعي !!. ومحاولات أخرى مع كتل قومية تأرجحت بين اليمين واليسار ، اطمأن إليه بعضها ولم يطمئن إليه أكثرها .. ثم كانت مناورته البارعة لأحداث انشقاق داخل الحزب الشيوعي وإنشاء حزب شيوعي جديد طرح شعارات (صينية) أشد يسارية من شعارات موسكو!! ومنحت له جريدة رسمية تنطق باسمه ، بينما حجب هذا الحق عن الحزب الحقيقي الضال المغضوب عليه!!.

ولكن ما دامت موضة العصر وتقليده المعروف : ان اليسار هو الموقع (العلمي) (والتقدمي) الصحيح الذي يلتزم حقوق الجماهير من عمال وفلاحين. ويقف كنقيض حاسم بمواجهة الاستعمار والإمبريالية .. فليكن ميل الحاكمين في بلادنا إذن إلى هذا الجانب ، ولتصمّم نماذج منهم لأداء الدور المرسوم. يبدأ تصنيعها في لندن وواشنطن ، وتنتهي – بعد توليها الحكم – إلى موالاة شكلية لموسكو وبلغراد وبكين. فتكسب بهذا سمات العلمية والتقدمية ومعاداة الاستعمار والإمبريالية. وتحظى بتأييد الطبقات الأكثر من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين.

وهذا ينقلنا إلى صيغة أخرى من صيغ لعبة اليسار واليمين أشد خطورة وتعقيداً من سابقتها. لأنها تعرف كيف تخدع (أوسع) الجماهير. وكيف تحيط نفسها بتأييدهم وحمايتهم ، الأمر الذي يضيع معه كل صوت ، مؤمن ، ذكي ، واعٍ ، يرتفع لكي يمزق الأستار ويكشف للناس عن الأيدي الحقيقية التي تحرك الدمى على المسرح وهي قابعة وراء الأستار ؟!

هذه الصيغة التي يمكن تسميتها بلعبة (اليسار الغربي – الأمريكي أو الإنكليزي الحاكم). والتي يمكن أن نجد الكثير من أبعادها ووقائعها في كتاب مايلز كوبلاند الوثائقي الخطير (لعبة الأمم) الذي استقى معلوماته من سفراء أمريكا المباشرين للّعبة (جيفرسون كافري وريموند هيدوجورج وارسورت) ، ومن طبيعة أعماله السابقة حيث شغل منصب نائب القنصل في سوريا. ثم عاد إلى واشنطن عام (١٩٤٩) ليساعد في تنظيم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي أنشئت يومها. ثم كان القسم الأعظم من حياته منصّباً على منطقة الشرق الأوسط. وهو يعمل الآن مستشاراً لمؤسسة ضخمة مختصة في العلاقات الحكومية. وهنالك أيضاً دراسة تحليلية قيّمة نشرها الأستاذ نبيه عبد ربه في ثلاثة أعداد من مجلة (الشهاب) اللبنانية تحت عنوان (اليسار الأمريكي الحاكم) التي أرجو أن تصدر في كتيب مستقل نظراً لأهميتها التاريخية المعاصرة.

وكما أحلت القارىء في المقطع الأول من هذا البحث إلى كتاب (غاي كار) (أحجار على رقعة الشطرنج) فإنني أحيله في هذا المقطع إلى كتاب كوبلاند آنف الذكر. تجنباً للتطويل ورغبة في أن يضع يديه مباشرة على حجم لعبة (اليسار الغربي الحاكم).

وساذج بليد من يتصوّر اننا بكشفنا ، ورفضنا في الوقت نفسه ، لقوى اليسار الغربي ، نلتزم ونؤيد مواقع وقوى اليمين الرجعية ، عربية كانت أم غير عربية ، لأنه لولا هذه ما جاءت تلك ، ولولا وجود قطبي اللعبة من يمين ويسار ، ما كانت اللعبة تمضي علينا أبداً .. والدور الخياني الشنيع الذي لعبه اليسار في ماساة فلسطين لا يكافؤه في الشناعة إلا الدور الذي لعبة اليمين .. إننا بكشفنا ورفضنا لمواقع اليمين واليسار التي دمّرت تاريخنا المعاصر وفتّتت وجودنا كأمة ، إنما نلتزم أمر الله الحاسم **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ**

أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[١٠] **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }**[١١] ، ونصدر عن الموقف القرآني الوسطي الخالد **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ...}**[١٢] ، والذي تبدو آياته المعجزة تلك وكأنها تتنزل علينا لحظة ضياعنا وتمزقنا ومأساتنا المزدوجة هذه ونحن نتأرجح – بلا وعي ولا إرادة – ذات اليمين وذات الشمال !!

ولنتذكر – دائماً – ونحن نطالع في كتاب كوبلاند ، عبارته المعروفة " إذا لم تربح اللعبة فغّير اللاعبين " **!!.**

---

(١٠) سورة المائدة : (الآية ٥١).

(١١) سورة التوبة : (الآية ٢٣).

(١٢) سورة البقرة : (الآية ١٤٣).

لعبة اليمين واليسار في ساحة الآداب والفنون

(١) مع جائزة نوبل

ومن عجب ان تمتد اللعبة الى عوالم العلوم والاداب والفنون ، الى معطيات الفكر والوجدان والشعور .. هذه العوالم (الانسانية) التي كان يجب ان تنأى عن ملابسات الصراع السياسي واوحاله ، وان تظل بمعزل عن الخداع الذي لا يعرف نبلا ولا شرفا ، وان تحتفظ بمقاييسها وقيمها الموضوعية الخالصة التي لا تعترف بحدود وحواجز جغرافية ، ولا تميز بين شعب وشعب وبين دين ودين ..

إلا ان الذي حدث ويحدث ، هو العكس من هذا تماما ، ما دامت الاصابع الصهيونية معززة بالحماية والقدرات الصليبية ، قد تغلغلت في عدد كبير من المؤسسات الثقافية في العالم الراهن وعلى رأسها مؤسسة (جائزة نوبل) .. وراحت تصوغ العطايا والتقديرات ، وتسلط اضواء الشهرة وفق مصالحها الخاصة ، ومناظيرها المحددة سلفا ، فتحجبها عن علماء وادباء يستحقون، وتمنحها من لا يستحقون او لمن هم اقل استحقاقا من زملائهم .

ومن عجب – كذلك – ان تسعى هذه الاصابع ، التي تكمن وراء تقديرات المؤسسة واحكامها ، الى توزيع هباتها المادية والمعنوية على الجميع الا على ادباء عالم العروبة والاسلام. ومن أجل ان توهم المثقفين في العالم بعدالة احكامها وبمواقفها الحيادية والموضوعية، فانها تمارس تنقلا ذكيا بين ادباء اليسار وادباء اليمين ، تماما كما يحدث في ميدان الدجل السياسي !!

وهي خلال هذا وذاك تسعى لان تجعل (حصة الاسد) من عطاياها للعناصر اليهودية او من هم في حكم اليهودية بسبب انتمائه الى أب او أم يهودية !! وما دام اليمين واليسار مفتوحين دائما لتنقلات بني اسرائيل وتأثيراتهم ، فالامر سواء منحت الجائزة لواحد من هنا او لواحد من هناك ..

إن بوريس باسترناك ، الاديب السوفيتي الذي تمثل روايته (الدكتور زيفاكو) رفضا للتجربة الشيوعية ، ونقدا مريرا لممارستها تجاه (الانسان) والذي لم يستطع نشر روايته – لاول مرة – الا مترجمة الى الايطالية ، من اجل ان يبعد بها عن رقابة الدولة التي ينتمي اليها .. والذي أثار بروايته هذه (اتحاد الادباء السوفييت) ، فشنوا عليه هجوما قاسيا ، واتهموه بتعزيز قيم البورجوازية البائدة وبالتعاطف مع الامبريالية .. هذا الاديب ، الذي اصبح بروايته تلك يحسب على (اليمين) حظي بجائزة نوبل للآداب (عام ١٩٥٨) فثارت بذلك ثائرة ادباء اليسار واتّهموا المؤسسة السويدية بالتحيز لصالح الفكر الرأسمالي وباشاحة وجهها عن ابداعات الفكر الشيوعي ، وصبوا عليها ، في صحفهم وندواتهم اللعنات !!

وبمهارة فائقة تحول المؤشر ، بعد سنوات قليلة ، لكي يسكت اليسار ويربت على كتفيه، ويعيده الى (المعبد) ثانية ، بعد ان لوح له بان عطايا السدنة ليست مقصورة على فكر بورجوازي او رأسمالي، وانما هي مشاعة لكل فكر ، الا ان يكون عربيا او اسلاميا ، بدليل انهم يمنحونها الآن للاديب السوفيتي ميخائيل شولوخوف على روايته (الدون الهادئ) التي عكست التزاما ايديولوجيا للعقيدة الشيوعية ، وقدمت نموذجا موسعا للأدب السوفيتي الملتزم ؟ .. ثم اذا بهم يعودون – ثانية – لمنحها لاديب روسي سوفيتي منشق اخر هو (سولجنتسن) على روايته (ارخبيل كولاك) ...

ما الذي دفع المؤسسة الى ايثار باسترناك في جائزة عام (١٩٥٨) وهناك الكثيرون ممن يفوقونه شهرة ومقدرة وبراعة في عالم الادب ؟ الجواب – يقول العقاد – هو " ان باسترناك[١٣] كاتب يهودي المولد ، وان مسالة اضطهاد اليهود من المسائل التي تتخلل روايته (الدكتور زيفاكو) في غير موضع ، ويتفق في ذلك الحين انها كانت تثير القيل والقال حول بعض القضايا والتهم ، وراء حدود البلاد الروسية ". ويواصل العقاد حديثه فيقول " لا بد من الاشارة هنا الى حقيقة تاريخية تفسر هذا النفوذ اليهودي في دوائر معهودة من امم الشمال هي دوائر التجارة العالمية ودوائر العملة الاجنبية التي لا يخفى شأنها في كل موطن تتصل مبادلاته بما وراء البحار. فمنذ القرون الوسطى كانت بلاد الشمال ملاذا مفتوحا لليهود وللطوائف الخارجة على سلطان الكنيسة الكاثوليكية .. ونزل اليهود منزلهم المرعي حيث تتسع الفرص لصفقات التجارة الدولية ولمبادلات العملة من وراء البحار. ويذكر القراء ان محافل اسرائيل لم تخل قط – الى هذه الايام – من وفود الشمال التي تشترك في الاحتفال باعياد اورشليم وتل ابيب ، تسجيلا لحوادث اليهود مع النازيين. وقد يذكر القراء ايضا ان زعماء اسرائيل يتلقون الدعوة تباعا لقضاء الرحلات في ارجاء الشمال ، على مثال لم يتكرر في عامة البلاد الاوربية التي حاربت النازيين ولسنا نميل الى القول بان هذه المحاباة لباسترناك كانت عملا من اعمال القصد والتدبير والتفاهم المكشوف بين اعضاء اللجنة المحكمين ، ولكننا نخاله اثرا من أثار الجو الشعوري الذي يخلقه كل نفوذ قديم لا سيما النفوذ الذي يتغلغل في شعاب المعاملات خارج البلاد وداخلها .. ولولا هذا (الجو الشعوري) لما بحثت اللجنة عن باسترناك ولولاه لبحثت عن غيره بمؤهلاته وما هو اكبر من مؤهلاته ، في حين تشاء الصهيونية العالمية وحيث لا تشاء "[١٤].

ونستمر في تتبع النفس اليهودي في المؤسسة ونتائجه في الاختيار والترشيح بنسبها الدقيقة ، فتقرأ في (موسوعة المعرفة اليهودية) كلمة عن جوائز نوبل قالت فيها : ان اليهود –

---

(١٣) وسولجنتسن ايضا ...

(١٤) جوائز الادب العالمية ، ص ١٠٧–١٠٨ (المكتبة الثقافية).

وانصاف اليهود – الذين نالوا جائزة نوبل قد بلغت نسبتهم نحو اثني عشر بالمائة من نسبة الفائزين بها في بلاد العالم المتمدن ، وهي تعني بانصاف اليهود من كان لهم امهات يهوديات. وقد صدرت موسوعة المعرفة اليهودية في سنة (١٩٤٦) ولا تزال النسبة في ازدياد بمن ينضاف اليها بعد صدور الموسوعة. وهذه نسبة كثيرة تجاوزت النسبة التي يلاحظ فيها عدد اليهود في العالم ، وهم اقل من عشرين مليونا في بلاد العالم كله ، ولعلهم اقل من ذلك بكثير. وتزداد هذه النسبة اذا لوحظ عددهم في الدوائر العلمية التي ينتسب اليها اكثر اليهود الفائزين بالجائزة ، فربما كانوا لا يزيدون على جزء من خمسين في المائة من ابناء ملتهم المشتغلين بعلوم الطبيعة والكيمياء ، ومعنى ذلك ان نصف عدد يهود في انحاء العالم المتمدن قد وصلوا الى جوائز نوبل العلمية. وهنا يظهر الفارق الكبير بين نسبتهم ونسبة غيرهم بحساب واحد. فان الذين نالوا هذه الجوائز من غير اليهود. ينقصون عن واحد في المائة من عدد العلماء العالميين وهم عدة ألوف. ولم تظهر مثل هذه النسبة في الجوائز الادبية ، لان الادباء اليهود الذين وصلوا الى الشهرة العالمية افراد معدودون يحسبون على اصابع اليد الواحدة ، ولم يكن احد منهم في طبقة الاعلام النابهين من امثال اناتول فرانس وبرناردشو وبيراندللو وبرتراندرسل .. فلو انهم اخذوا الجائزة الادبية لكان معنى ذلك ان النسبة تبلغ فيهم مائة في المائة ، وان اللجنة السويدية تميزهم على من هم ارجح منهم قدرة وشهرة من غير اليهود. ولعل اللجنة ادركت ان محاباة هؤلاء حاصلة بغير حاجة الى وساطتها في دوائر النشر والاعلان لان انصاف اليهود من امثال (رلكه وكافكا وسارتر) قد زاحموا من هم افضل منهم في ملكات الشعر والقصة وقد كان ذلك حسبهم في المحاباة ، فلا حاجة باللجنة السويدية الى توريط نفسها في هذا المجال ، وبخاصة عند النظر الى الشروط المثالية الانسانية ، فانهم منها على النقيض مما اشترط مؤسس الجائزة من شروط القيم الاخلاقية والمثل العليا[١٥].

ومع هذا فقد شهدنا في السنين الاخيرة هذا (التورط) الذي يبدو ان اللجنة السويدية مدفوعة اليه على سبيل الاختيار او الالزام ، وذلك بمنحها الجائزة للاديب الاسرائيلي (جدعون) الذي ينتمي الى دولة تقف وابناؤها بالسلوك ، والممارسة موقف النقيض من (القيم الاخلاقية) و(المثل العليا) و(مبادئ السلم) التي كرس نوبل من اجلها جائزته تلك. ولا ريب ان مساحة (المحاباة) هذه في ميدان الادب ستزداد مع الايام بازدياد نفوذ اسرائيل والصهيونية العالمية لكي توازي ما حظي به اليهود من جوائز في ميادين العلوم.

---

(١٥) المرجع السابق ، ص ١٠٠-١٠٢.

ومهما يكن من امر فان اللجنة – كما يقول العقاد – لم تنصف احدا قط من خصوم اليهود وممن لا يناصرون الصهيونية العالمية ، او يقفون منها موقف الحذر والاشتباه[١٦]. وربما يكون المؤرخ الشهير ارنولد توينبي من بين هؤلاء !!

وعندما اقتنعت اللجنة بضرورة تجاوز نطاق القارة الاوربية في عطاياها وتقديراتها الى غيرها من القارات ، وبخاصة اسيا موطن الحضارات العريقة والاداب الانسانية التي لا يحدها مكان او زمان ، وآمنت بان في بلاد الله الواسعة ، خارج القارة، طاقات وقدرات لا تقل تفجرا وابداعا ودعوة للقيم المثالية والانسانية عما في اوربا ، وان لم تفقها في بعض ما تتضمنه من تلك القيم والدعوات .. ووقع اختيارها على الشاعر الهندوسي الشهير (رابندرنات طاغور) ، طرح هذا السؤال نفسه على كل لسان في الهند وسائر بلاد الشرق ولا يزال حتى اليوم مترددا ، متكررا ، بغير جواب :

" لمَ لمْ تعترف اللجنة بمثل هذا الحق لمواطن طاغور ونظيره في المكانة الادبية : محمد اقبال ؟ لم تتكلف اللجنة في سبيل الانتباه الى اسمه بعض ما تكلفته في انصاف طاغور ؟ ان اعضاء اللجنة قد تنبهوا الى علاقة طاغور بتراث الشعر في بلاده. وان اصالة اقبال في شعر التصوف اعرق من اصالة زميله البرهمي فيما استقاه – على الاقل – من ينبوع الصوفية الاسلامية ، ولا يقال ان (اقبالا) قد انقطع اوكاد ان ينقطع للدعوة الاسلامية. فان دعوة الشاعر لنصرة دينه او وطنه لم تكن قط حائلا دون تقديره وتعظيمه في نظر اللجنة وبخاصة تلك الدعوة التي تتجرد من نوازع العداوة والبغضاء وتتنزه عن عداوات الانسان من وراء عداوة الاديان ، ولقد اجازت اللجنة طبيبا فيلسوفا من القائمين بدعوة التبشير في القارة الافريقية ، ولم تكن جائزة الادب ، بل جائزة السلام هي التي استحقها الدكترو البرت شويتزر ، وهو لم يعمل قط في قضية من قضايا السلام الدولية !!

" وأدعى الى العجب في التمييز بين الشاعرين والمواطنين ان طاغور كان بحاجة الى تنبيه من العارفين بقدره بين الغربيين ، اما اقبال فقد كان غنيا عن التنبيه اليه في بيئات الغرب الادبية وفي بيئات المستشرقين المشتغلين بدراسات الاسلام او دراسات الشرق على العموم ، وقد عرف في انكلترا كما عرف في المانيا وفرنسا .. ولم تنقطع اخباره عن معهد من معاهد الثقافة العليا في بلاد الشمال وقديما كان ملك من ملوك الشمال رائدا مقدما بين رواد الاستشراق.

" لقد كان طاغور اول من تأذى بهذا اللغط الذي فتحت اللجنة السويدية ابوابه ونفذ منه اعداء السلام للايقاع بين ابناء الامة الواحدة وقد تحدث طاغور بذلك بمناسابت شتى، واشار اليه في تأبينه لزميله الكبير حيث قال " ان شهرة اقبال الواسعة ترجع الى ما احتواه شعره من نور

---

(١٦) المرجع السابق ، ص ١٢٢.

الادب الخالد ، ومما يؤسف له ان يضع النقاد ادبي وادب اقبال موضع المناقشة ويبثوا بين ذلك اغلاطهم ، وهو امر لا يجمل بالادب الفسيح الذي يخاطب النوع الانساني كله " .. ثم انطوت السنون وتجددت اسباب اخرى للقيل والقال بعد قضية اقبال وطاغور ، ومهما يكن من عذر للجنة في اهمالها لاقبال قبل اجازة زميله ومواطنه ، فان الاصرار على هذا الاهمال بعد ذلك غير مفهوم "[١٧].

ولكن بمجرد ان نرجع مرة اخرى لقراءة الصفحات السابقة فانه سيتبيّن لنا ان (اهمالا) كهذا أمر مفهوم ، بل انه يكاد ان يكون (ضروريا) في عالم (غير معقول) كما يقول رواد المسرح الطليعي في اوربا : يونسكو وبيكيت وجنييه وغيرهم .. عالم تداخلت فيه كل الممارسات والفاعليات وفقدت حدودها الثابتة وملامحها الشخصية والاصيلة ، وكثافتها النوعية ، تماما كما يحدث في دنيا الاحلام ، فاذا بالممارسة السياسية تتحول الى ادب وفن واذا بالاداب والفنون تغدو مناورات وخدعا سياسية .. ودائما يكون صوت القوة اعلى من صوت الكلمة ودافع التحيز اكثر اقناعا من منطق الموضوعية والحياد ..

عصر يقف فيه العالم كله يساريا او يمينيا ، صهيونيا ام صليبيا ، بمواجهة عالم الاسلام المفتت ، المندحر ، الذي ينتظر الاشارة التي يعرفها الجميع ، فيرهبونها !!

وتبقى لعبة اليمين واليسار هي اللعبة السائدة في عصرنا هذا ، سواء في ميدان الحرب والسياسة ام في ميادين الافكار والعلوم والفنون والاداب !!

---

(١٧) المرجع السابق ، ص ٨٧-٩٠.

(٢) مع الحركة السريالية

في كتاب (عصر السريالية) – على سبيل المثال – للكاتب الامريكي الدكتور والاس فاولي[١٨] الذي نشرت ترجمته العربية (مؤسسة فرانكلين) الامريكية !! يلتقي اقصى اليمين باقصى اليسار ، في توافق غريب ، وتتجاور الاسرائيليات اليمينية ، التي تبلغ حد السحر والاساطير والبدائية والطقوسية واللا معقولية ، مع التيارات الفكرية اليسارية التي تبدأ بتحطيم كافة القواعد والمؤسسات : اللغة ، العائلة ، الدين ، المجتمع ، الاخلاق ، الدولة ، منتهية الى نزعة (عدمية) لا تعرف سوى الهدم والتدمير .. ويتنقل زعماء السريالية ببساطة بين الشيوعية والليبرالية .. بين موسكو وواشنطن .. وتبرز الاولى كمطمح ثوري لعديد من السرياليين الذين يطمحون لتغيير العلاقات البشرية القائمة ، وتدمير القواعد البورجوازية السائدة.

ورغم ان الكتاب يصدر عن مؤسسة ثقافية ، امريكية رأسمالية فاننا كثيرا ما نلتقي – عبر صفحاته – باستخدام متنوع للمعايير الماركسية في الحكم على القيم والعلاقات والاشياء.. ولا ترد في صفحاته التي تزيد على الثلاثمائة أية ادانة للشيوعية ، سوى في عبارة واحدة ترد عرضا في نهاية الكتاب " في البداية كانوا – أي السرياليون – يسترشدون بالنظريات الماركسية ، الا ان هذه لم تفلح طويلا في ارضاء مطامحهم "[١٩].

إلاّ ان عجبنا يزول اذا ما ادركنا ان كثيرا من مؤسسات الغرب الثقافية تخضع للتوجيه والمال اليهوديين ، مصداقا لما كانت (بروتوكولات صهيون) قد اعلنت عنه : " قبل طبع أي نوع من الاعمال سيكون على الناشر او الطابع ان يلتمس من السلطات اذنا بنشر العمل المذكور .. الادب والصحافة هما اعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الاكبر من الدوريات. وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السئ لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جدا على العقل الانساني "[٢٠]. "ويجب ان تكون حكومتنا محوطة بكل قوى المدنية التي ستعمل خلالها. انها ستجذب الى نفسها الناشرين والمحامين والاطباء ورجال الادارة والدبلوماسية ثم القوم المنشئين في مدارسنا التقدمية الخاصة "[٢١].

فاذا ما تمعنا في صفحات وفصول كتاب (فرانكلين) الذي بين ايدينا وجدنا تأكيدات مستمرة على اهمية الفكر اليهودي في النظريات الفنية ، سريالية وغير سريالية ، وعلى دور اليهود في ريادة الحركات الفنية والفكرية الجديدة ... وعلى القيم الدينية اليهودية المنبثة في حنايا

---

(١٨) ترجمة خالد سعيد ، بيروت–١٩٦٧.

(١٩) عصر السريالية ، ص ٢٨٩.

(٢٠) ترجمة : محمد خليفة التونسي ، ط٤ ، ص ١٦٢.

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٤٢ ، وانظر كراس (لعبة اليمين واليسار) للمؤلف.

الكتاب ، عبر الاطار السريالي (فوق الواقعي) ، ومن خلال اشد النزعات انكارا للدين والتصاقا بالرفض والتحلل والالحاد !! ولا اهمية – بعد هذا – في التنقل بين مواقع اليمين اليسار ، وفي عرض الشيوعيه كهدف ثوري تقدمي ، واستخدام المعايير الماركسية في الحكم على القضايا الراهنة والمصيرية ، او في ان يذهب (بريتون) ، زعيم الحركة السريالية ، في خريف عام (١٩٤٢) لكي يلقي محاضرة مسهبة عن المذهب السريالي في جامعة بيل الامريكية .. ولا غرابة – كذلك – في ان يتحول (بيكاسو) وعدد من رفاق السريالية الى الشيوعية ، وفي ان يعمل بريتون ، زعيمهم الكبير في (مكتب الاستعلامات الحربية في نيويوك)[٢٢] ، أو في ان ينخرط رامبو ، الشاذ جنسيا ، في كومون باريس عام (١٨٧١) ويتطوع في فرقة (جنود الثورة)[٢٣].

لا اهمية لهذا ولا غرابة في ذاك ، ما دامت الحركة السريالية ، في بعض جوانبها ، تبلغ من العنف والنزعة التخريبية للاجهاز على كل القواعد والقيم والعلاقات الاخلاقية والاجتماعية.. حدا يجعلها اداة حسنة لتنفيذ بعض الاهداف اليهودية في نشر الفوضى والتفكك والاباحية الجنسية ، في اقصى حالاتها الشذوذية ، والخراب .. سواء عمل في اطارها اليمينيون او اليساريون .. وما دام (ماركس) و(فرويد) اليهوديين قد صنفا ، بسبب نزوعهما الثوري العنيف ضمن قائمة السرياليين " أي فوق الواقعيين "[٢٤].

يعرض كتاب مؤسسة فرانكلين الامريكية : الشيوعية كاحدى ثورات اساسية ثلاث تفرض اهميتها المتزايدة على عصرنا الراهن ، وربما على مستقبلنا كذلك !! يقول فاولي مؤلف الكتاب " ونجد اليوم ان السريالية تبلغ في اهميتها وجديتها مبلغ ما تحظى به الشيوعية والتومائية الجديدة ، المعاصرتان ، من اهمية وجدية ، فهذه (الثورات) الثلاث تبدو انها الاكثر اهمية لفهم عالمنا الحديث ، ومع ان هذه الثورات تبدو لنا الان متساوية في اهميتها ، فلست استغرب ان تنمو السريالية وتتبوأ مكانتها الحقيقية باعتبارها اشد حركات الفكر والفن الحديثين ضرورة وتجديدا وذلك بسبب ارتباطاتها الدقيقة بالشيوعية من جهة وبالقضايا الروحية من جهة ثانية. فاذا كانت السريالية بالمعنى المعاصر تأخذ مكانها ، بقوة وشمول الى جانب الشيوعية والتومائية الجديدة ، فهي بمعناها التاريخي تستحق مكانا الى جانب الكلاسيكية والرومنطيقية "[٢٥].

وهو يستخدم المعايير الماركسية في اكثر من موضع كقيم (موضوعية) حتى لتنسى احيانا ان الكتاب يصدر عن مؤسسة امريكية : " ان اندريه مالرو ، احد كبار كتاب فرنسا

---

(٢٢) عصر السريالية ، ص ١٤٥.

(٢٣) انظر المرجع السابق ، ص ٦١.

(٢٤) المرجع السابق ، ص ١١.

(٢٥) نفسه ص ١١-١٢.

المعاصرين ، الذي لم يكن سرياليا ، والذي اعلن في (١٩٤٧) انحيازه الى ديغول والجناح اليميني ، كتب في روايته (المنتصرون) : " لقد نشأنا في عتبة الحرب " ، فعبر بذلك عن فكرة بارزة من افكار جيله الذي هوجيل السرياليين "[٢٦].

وهكذا يلتقي اليمين واليسار ، في نهاية التحليل تحت ظلال السرياليين. وكان بودلير " يجد في الملابس السوداء التي يحس البورجوازي العصري ان عليه ارتداءها في حفلات المساء، تعبيرا عن الروح العامة ، وموكب السياسيين والعشاق والبورجوازيين الذين يقيمون مراسم جنازاتهم دون ان يدروا "[٢٧]. ويجب ان نتذكر ان الحضارة الامريكية (الغربية) الراهنة تبدو في المعايير الماركسية بورجوازية عظما ودما!

إن فاولي ، من اجل ان يحدث التوازن المطلوب ، يعود في نهاية بحثه فيصف السريالية بانها " اقصى درجات الانعتاق ، او بتعبير سياسي هي منتهى الليبرالية "[٢٨]. .. وهي في كل احوالها تذكرنا ببعض عبارات برتوكولات صهيون "ان كلمة الحرية تزج بالمجتمع في نزاع مع كل القوى حتى مع قوة الطبيعة وقوة الله "[٢٩]. "وسنظيف مظهرا تحرريا لكل الهيئات وكل الاتجاهات وسنحاول ان نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن ان تبدو تقدمية او تحررية "[٣٠]. .. لقد قوضت هيبة قوانينهم بالافكار التحررية التي اذعناها في اوساطهم "[٣١].

وفي مكان اخر يتحدث عن (الشهيد الثالث) ! في سلسلة السرياليين : رينيه كريفيل الذ انتحر عام ١٩٣٥ " وترتبط قضيته بالعلاقة بين السريالية والشيوعية. كان كريفيل شابا وسيما محبوبا من الجميع ، تطوقه حسناوات المجتمع وعارضات الازياء. وبعد ان صار شيوعيا عاد وطرد من الحزب مع بريتون واليوار عام (١٩٣٣) ، لكنه برئ واعيد الى صفوف الحزب بعد ذلك بمدة وجيزة "[٣٢].

ويجب ان لا يغيب عن اذهاننا ان فاولي كان – منذ البدء– قد صنف ماركس – اعتمادا على معطيات بريتون – ضمن السرياليين " لقد كان من هم السرياليين ان يكتشفوا في الماضي القريب والبعيد على السواء ، ما يدعم افكارهم واعمالهم وراحوا يهشمون كل من يتعارض معهم ،

---

(٢٦) نفسه ، ص ٢٣–٢٤.

(٢٧) نفسه ، ص ٢٧٧–٢٧٨.

(٢٨) نفسه ، ص ٢٦١.

(٢٩) بروتوكولات ، ص ١٣٠.

(٣٠) المرجع السابق ، ص ١٦٨.

(٣١) نفسه ، ص ١٧٧.

(٣٢) عصر السريالية ، ص ٢٦٠.

بالعنف نفسه الذي يمجدون فيه الافكار القريبة اليهم ، وهكذا يدعي بريتون ان هيراقليطس سريالي ديالكتيكي ، وان بودلير سريالي اخلاقي ، ولم يكتف السرياليون بترديد الاسماء الشهيرة من امثال ساد وهيغل وماركس وفرويد وسانت جوست بالفة وبساطة ، بل ادخلوا في هيكلهم ومن باب جانبي وببعض القسر شخصيات اخرى "[٣٣].

ماركس وفرويد اليهوديان اللذان كانت البروتوكولات قد تحدثت عن نظريتيهما واشباهها لسحق القيم وتدمير المجتمعات وتفكيك العلاقات الانسانية .. " لا تتصوروا ان تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا ان نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتّبناه من قبل. والاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الاممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد"[٣٤].

اننا نلمح في اكثر من موضع في الكتاب الذي تحت ايدينا ، التأكيد على اليهود الذين يقفون مباشرة او بشكل غير مباشر ، وراء هذه الحركة الهدمية المتطرفة ، كما وقفوا وراء غيرها من الحركات التي تناظرها في الاتجاه .. ونحن نقرأ في احد البروتوكولات " اننا نسخر في خدمتنا اناسا من جميع المذاهب والاحزاب ، من رجال يرغبون في اعادة الملكيات واشتراكيين وحالمين بكل انواع الطوبيات ، لقد وضعناهم جميعا تحت السرج .. " ونقرأ في بروتوكول آخر " ان كل الموازين البنائية ستنهار سريعا لاننا على الدوام نفقدها توازنها كي نبليها بسرعة اكثر ونسحق كفايتها "[٣٥].

في البداية يرى فاولي ان الفضل في ابراز اسطورة (اللاوعي) التي ترتكز عليها معطيات السرياليين ترجع الى ثلاثة من الكتاب الذين مجدهم السرياليون ، وجميعهم – حسب علمنا – من اليهود " اولهم الفيلسوف هنري برغسون الذي اظهر بدراساته عن الحدس الحاجة الى توسيع حدود الذكاء المنطقي ، ثم جاء اندريه جيد يذيع تعاليمه الشاعرية حول توكيد الذات ، فان كتاب (طعام الارض) ، وهو احد كتبه الاوائل واكثرها اقناعا في عرض هذه الفكرة ، نشيد تحرر من مقاييس المجتمع التقليدية ، انه منهج بحث من اجل تحقيق الذات وتكاملها ، ومن اجل اخلاق ذاتية ، وهو بوجه خاص تنشيط حسي لتفهم الذات. اما الثالث بين اقطاب الفكر الحديث هؤلاء فهو فرويد ، الذي تكون نظرياته المضيئة (!!) عن اللاوعي المبدأ الرئيسي في المذهب السريالي "[٣٦]. اكثر من هذا ان فاولي يقول " كان باستطاعة (السرياليين) ايضا الاستشهاد

---

(٣٣) نفسه ، ص ١٠–١١ ، وانظر الصفحات ١٩ ، ٣٢ ، ٦١.

(٣٤) البروتوكولات ، ص ١٢٣–١٢٤.

(٣٥) نفسه ، ص ١٢٥ و ١٤٥.

(٣٦) عصر السريالية ، ص ٢٠–٢١ ، وانظر ص ٢١–٢٢.

بعبارات من العهد القديم لصموئيل خصوصا تلك التي يخاطب بها شاوول قائلا (انا هو الرائي، اصعد امامي الى المرتفعة فتأكلا معي اليوم ، ثم اطلقك صباحا واخبرك بكل ما في قلبك) فالعالمان اليوناني والعبري اللذان زودا عالمنا بجميع افكاره ومعتقداته تقريبا (!!) هما اللذان كونا نظرة السرياليين الى الفنان "[٣٧].

وقبل ان نقف عند نظرية فرويد اليهودي في (اللاوعي) كمرتكز للنشاط السريالي كله ، علينا ان نتلمس الملامح الدينية – الطقوسية التي تسود معطيات السرياليين والتي نشم فيها رائحة الشوق الى الكهنوت الاسرائيلي ، وسحره وتعازيمه ، " لقد بدأ ان السريالية كانت دائما تقدم على الانتحار كواحد من حلين ، لكن من حسن الحظ ان الحل الثاني قد رجح وآمن به السرياليون ومارسوه اكثر من الحل الانتحاري. فقد وقف الايمان بمعجزة الفن وبصفات الفنان وخصائصه السحرية في وجه الانتحار .. وبدا ان دور الفنان اخذ يكتسب مميزات الكاهن ، وصانع المعجزة، ومميزات الانسان الذي منح موهبة الرؤية الخارقة ، واخذ نتاج الكاتب ، والشاعر بصورة خاصة، يعتبر تعزيما سحريا ، واستحضارا سحريا عجائبيا ، في تأثيره وابداعه على السواء. وهكذا قد يصبح تشبيه الاثر الفني بالقربان في الاسرار المسيحية الذي يتضمن (الحضور الفعلي) وهكذا يصبح الشاعر الكاهن الذي يحقق الاعجوبة عن طريق الاستعمال السحري للكلمات ، عن طريق تصريح لا يفهمه هو نفسه فهما كاملا ويكون الاثر الذي يتم ابداعه هكذا ، سرا غامضا ، يمكن ان يحس ويعاش ، دون ان يكون بالضرورة مفهوما "[٣٨].

وفي مكان آخر يقول " ولكي نعرّف بايجاز ، اولا ، هذا المذهب ، الذي كشف عنه بودلير واكمله مالارميه ، واعطاه رامبو التعبير العاصف الذي يشبه حلما عنيفا ، يمكن القول بانه اعتقاد بوجود علاقة تقوم بالضرورة بين القصيدة والعرافة او السحر او (الرقية السحرية) (Sortilege) على حد تعبير الفرنسيين. فالقصيدة تتكون بفعل عملية سحرية كالسيمياء وبالتالي غريبة عن قواعد المنطق وحتى عن قواعد الغريزة. وتبعا لهذه الفرضية تنشأ قصيدة فيما خفي من حياة الروح ، وهي لذلك انعكاس لهذه الحياة الغابرة او الباطنة "[٣٩].

ويزيد المؤلف تفسير عملية الخلق الفني لدى السرياليين وضوحا بقوله " نذكر بالمناسبة ان اصول السحر تشتمل ، في معظمها ، على استعمال الكلمات استعمالا خاصا، وعلى ممارسة طقوس خاصة ، كذلك نذكر ان الكلمات حين تستعمل بهذه الطريقة تكون ذات معاني مبهمة تستعصي على الفهم ، ولكنها ما ان تردد بتأن وانتظام حتى تفعل العجائب : المريض

---

(٣٧) نفسه ، ص ١٥.

(٣٨) نفسه ، ص ٢٧-٢٨.

(٣٩) نفسه ، ص ٥٨-٥٩.

يشفى ، والمحارب يشتعل جرأة ، والصبي يدخل طور الرجولة. وكل حدث رئيسي في الحياة كالطفولة والعاب الاحداث والعبادات والحب والموت يتم باستخدام اللغة ويتكرس بوساطتها "[٤٠]. وسنعود فيما بعد الى مسالة استخدام اللغة لنرى كيف يتم.

فاذا ما جئنا الى طبيعة العلاقة العضوية بين الابداع السريالي وبين نظرية فرويد في اللاوعي ، فرويد اليهودي الذي يرد كل فاعليات الانسان الى الجنس ، والذي يرفع معوله –باسم التحرر من العقد والكبت – لكي ينزل به على كل القيم الدينية والعلاقات الاخلاقية والمؤسسات الاجتماعية ، ولكي يدمر الثقة بالعقل الباطن والمنطق والممارسات الواعية ، فاننا سنجد تأكيدات متزايدة تستغرق مساحات واسعة من الكتاب.

ان الشعور القوي ، يقول فاولي " بالحاجة الى الصدق في التعبير الادبي ، الذي ظهر في فرنسا خلال السنوات العشرين الاولى من هذا القرن ، يرجع الى الاعتقاد بان حالات الوعي في كيان الانسان لم تعد كافية لتفسيره لنفسه والآخرين ، وبان لا شعوره يتضمن جانبا من كيانه اوسع واكثر اصالة ودقة. فقد تبين ان كلامنا الواعي وسلوكنا اليومي يتناقضان عادة مع ذواتنا الحقيقية ورغباتنا الاعمق كما تبين ان نماذج السلوك البشري الواضحة التي رسمها الواقعيون ، والتي يبدو ان حياتنا تسير وفقا لها ، قد كونتها العوامل الاجتماعية ، لا رغباتنا او امزجتنا او ذواتنا الداخلية ، هذا الاكتشاف اوالاعتقاد باننا نتكشف في احلامنا وافعالنا الغريزية الخالصة ، بصورة اصدق مما نتكشف في سلوكنا اليومي الظاهري ، هو في أساس السريالية "[٤١]. ويقول " اذا فرغ ما يسمى بالحياة الحقيقية او الواقعية من المعنى ، او صار يمثل شركا او جوا مزيفا للفكر الانساني، فعلينا ان نتوقع الثورة ضد الواقعية. هكذا ظهر ادب كامل يهدف بصراحة الى الهرب من الواقع ، والى خلق عالم يعوض عن نقص العالم الواقعي ، وربما امكننا ان نسميه ادب هروب او تملص ، لا يقوم فيه البطل بارتياد العالم الذي يعرفه جيدا بل يقوم في مغامرة في ارض غريبة كليا ، او باستقصاء عالم احلامه .. البطل الجديد اذن هو الانسان غير المنسجم ، هو الجواب او الحالم ، او مقترف الافعال اللامنطقية ، انه يمثل ما يدعوه علماء النفس بالمزاج الانفصامي ، فالتامل الداخلي هو نهجه وطريقة حياته "[٤٢]. ذلك التامل الذي يتحول احيانا " الى انحلال الشخصية في الفن السريالي والى تبديد للعوامل المكونة للشخصية الانسانية "[٤٣].

---

(٤٠) نفسه ، ص ٧٦ ، وانظر الصفحات ٣٠–٣١ ، ٧٢–٧٣.

(٤١) نفسه ، ص ١٧.

(٤٢) نفسه ، ص ١٨–١٩.

(٤٣) نفسه ، ص ١٨–١٩.

لقد علم فرويد السرياليين " ان الانسان نائم في المقام الاول ، ولذلك فان على السريالي ان يتعلم الغوص في احلامه كما فعل اورفيوس حين نزل الى العالم الاسفل ليكتشف كنزه هناك"[٤٤] ، وعلى الشاعر ، كما يقول بودلير " ان يغوص عميقا في ماضيه ، وفي معاني طفولته ، شأن المحلل النفساني[٤٥] وان السريالي يجد نفسه مسوقا الى ان يطير باتجاه الاعماق " الهبوط الحر الذي لا يعيقه كبت الى عالم النوم والاحلام ، حيث يستطيع الانسان الحديث ان ينهمك في نشاط من طراز بدائي ، وحيث يستطيع ان يعيش ، كما ترى نظرية فرويد ، تناقص الكبت وحيث يكف عن مقاومة الجوانب الاصلية (!) في طبيعته "[٤٦].

ويمضي السرياليون في اعتماد التحليل النفسي الفرويدي الى ابعد من هذا " الى ان الجانب الاكبر من الحياة الانسانية الصميمية الداخلية يتكون من كهوف وكوابيس مخيفة طافحة بالاحساس بالذنب (!!) وفي انها يجب ان تفجر لان تفجيرها بوساطة الفن تحرير للنفس الانسانية "[٤٧]. وان فيلما كالذي انتجه (الاخوة ماركس) – وهم اغلب الظن من اليهود– باسم (معذبو الحيوان) يجيء بمثابة وثيقة عن (الهبوط داخل الذات نحو عالم الغريزة الخالصة ، حيث تثوي الرغبات المكبوتة. وقد اعتبر السرياليون هذا الفيلم تفجيرا لهذه الرغبات ، واطلاقا ملحميا للغرائز "[٤٨].

وهكذا على سبيل المثال ، " اصبح عبث المركيز دو ساد الذي تنسب اليه السادية الجنسية في اعنف حالاتها تعبيرا عن المطلق في نطاق اللذة محورا لمناقشات السرياليين المتعلقة بقوة رغبة الانسان وشرعية تحقيقها ، وبقي كذلك بين مبادئ المنهج السريالي مبدأ الاقرار باللذة في حالتها الغائصة المكبوتة في اعماق الانسان وإرجاعها الى السطح واطلاقها في العالم. تضمن هذا المبدأ فكرة تميز الواقع الانساني بالجذب والدفع في آن واحد ، مما يعني التسليم بتعايش المتناقضات العنيفة في الانسان الواحد "[٤٩].

ويخلص فاولي الى القول انه مع الزمن اخذت ظاهرة التحليل النفسي تبدو في الحركة السريالية اكثر وضوحا ، " فقد ساعد التحليل النفسي في تعزيز السعي الى تحقيق التكامل بين المعقول واللامعقول ، وطالما اعتبر اللاشعور مجال السريالي الشرعي .. وفي آثار عديدة توضح الاحداث بالاحلام والاحداث الماضية ، والتحليل النفسي هو المنهج الذي يمكننا

---

(٤٤) نفسه ، ص ٢٩.

(٤٥) نفسه ، ص ٣٠.

(٤٦) نفسه ، ص ٢٥٧.

(٤٧) نفسه ، ص ٢٧٧.

(٤٨) نفسه ، ص ٢٨٨.

(٤٩) نفسه ، ص ٢٩٠.

بواسطته ان نزداد معرفة بمصيرنا ، وبواسطته يأتلف الواقع وما فوق الواقع ، ويتداخلان باستمرار "[٥٠] ، اننا باختصار " يمكننا ان نعثر ، فيما يعتبره العالم حالات جنون ، على قوة داخلية مكبوتة معذبة ، ويمكن للانسان اذا ما لبى رغائبه الانسانية ، ان يعيش تجربة اكثر حقيقية من واقع العالم المنطقي الموضوعي "[٥١].

***

إن هذا الموقف ينقلنا بالضرورة الى ميزة اساسية من اهم ميزات السريالية واشدها ارتباطا بموقفها الفرويدي ، تلك هي النزعة الى التفكيك والتدمير ، فما دامت (حالات الجنون) اكثر حقيقية من واقع العالم المنطقي الموضوعي ، فان من العبث والسخرية ان نتشبث بمعطيات هذا العالم وعلاقاته ونظمه ومؤسساته وقيمه ، وان نبني بيننا وبين الجنون سدا بورجوازيا مصطنعا، وان الخطوة التي تفرضها البداهة في مجال كهذا هو رفض العالم الخارجي والتمرد عليه ، والسعي لقلبه على رؤوس بناته من اجل الوصول الى الحالة الحقيقية : حالة الجنون !! " لقد بدت السريالية ، خلال السنوات الفاصلة بين الحربين العالميتين كانها تعني خاصة بالرفض والثورة وهدم المثل والمعايير ، كان السرياليون " ضد " كل شئ وضد الادب والشعر ، وبصورة اخص ، فكانوا لا يؤمنون بأقل من تغيير تامّا الحياة تغييرا ، ولقد حاربوا ، بلا هوادة ، تلك النظرة التي ترى ان الادب تعبير عن المجتمع واعتبروها هدف الادب البورجوازي القانع بنفسه"[٥٢].

لقد حلت السريالية محل الدادائية في اوائل العشرينات من هذا القرن ، "وقد حدث ذلك بعد ان كانت الدادائية قد عبرت عن مواقفها السلبية العنيفة ازاء كثير من الافكار والنشاطات السائدة. فقد ثارت ضد المجتمع واللغة والدين والذكاء "[٥٣] ، وجاء السريالي " لكي يمارس ارادته لتحرير نفسه من الاشياء المألوفة التي تحيط به. وهذا الفعل الاساسي الذي يقوم به السريالي هو فعل تحرر ، انه غريزة عميقة في الانسان تنزع الى تحطيم ما يشده الى العالم : كقوانين العائلة والمجتمع والدولة والجنس .. [٥٤]". لقد كان الهدم من اركان المذهب الدادائي وهو الحركة الخاطفة التي سبقت السريالية عام (١٩١٦ و١٩١٧) " وقد تشربت السريالية مبدأ الهدم ومعناه الدادائي الحرفي الى حد ما. وقد اتخذ هذا (الهدم) اشكالا متعددة ، فكان جديا ونصف جدي وصبيانيا وعابثا. بيد اننا اليوم اذا ما عدنا بالنظر نحو السريالية بدت لنا حركة ايجابية اكثر مما

---

(٥٠) نفسه ، ص ٢٩١.

(٥١) نفسه ، ص ٢٩٥.

(٥٢) نفسه ، ص ١٥.

(٥٣) نفسه ، ص ٢٣.

(٥٤) نفسه ، ص ٢٥٨.

هي سلبية هدامة. وما كان من مظاهر انعدام الجدية في تصرفات السرياليين في الشوارع والمقاهي ، وفي معارضهم واجتماعاتهم ، هو في الواقع في غاية الجد "[٥٥].

هكذا يتوجب على العبقري ، يقول فاولي ، حين تحين " اللحظة المناسبة للابداع ان يصير نفسه غريبا عن الارض التي تضجره ، وعليه ان يرفض المجتمع والعائلة اللذين نشأ فيهما ولم يكن لديه الخيار في ذلك ، وهذا الرفض طقس مهم في اسطورة الفنان ، وهو وثيق الصلة بنظام التنسك عند الكاهن الى حد بعيد "[٥٦].

ويتحدث فاولي عن (جاك فاشيه) ، الشاب السريالي الذي انتحر في نانت في نهاية عام (١٩١٨) " كان طويل القامة ، احمر الشعر يجذب الناس بسهولة ، وقد بلغ تأثير شخصيته ومعتقداته في اصدقائه والمعجبين به درجة جعلتهم لا يكتفون بتقبل انتحاره وحسب ، بل تقبلوا مع ذلك فكرة قتل صديقه معه ، انتحر فاشيه بتناول جرعة كبيرة من الافيون ، واعطى مثلها الى صديق سأله ان يدخله عالم المخدرات. ومن المرجح ان فاشيه كان يعرف نتيجة الجرعتين. اورد هذه القصة الفاجعة لأوضح اولا معنى روح الهزيمة التي ظهرت مع نهاية الحرب ولأبين ثانيا الانجذاب نحو الموت وتدمير الذات وهو انجذاب ظاهر في معظم الفن السريالي. ذلك ان النبوءة والهلاك والغدر والامحاق والانتحار مظاهر من الوجه التشاؤمي او العدمي في السريالية سندرسها في اماكنها المناسبة في هذا ، الكتاب وسرعان ما اعتبر انتحار فاشيه نوعا من الاستشهاد فقد كان شهيد العبث وقضاء الحياة المحتوم ، ومجد شعره باعتباره تحقيقا شعريا أو سرياليا للذات "[٥٧].

وهذا التحقيق السريالي للذات يمكن ان نجده بشكل اخر ، لا يقل دمارا ، لدى رامبو ، شاعر سبعينات القرن الماضي ، الفرنسي السريالي ، الشاب " لقد حفلت الاشهر الاولى من عام (١٨٧١) بالوان عيش متطرفة وبتجارب مزعجة قام بها رامبو اذ كرس شهر كانون الثاني لمطالعات واسعة حول السحر وما يتصل به في المكتبة العامة في شارل فيل. وفي شهر شباط هرب من البيت للمرة الثالثة وقصد باريس. وذات ليلة عثر الفنان اندريه جيل لدى عودته الى بيته على رامبو نائما في محترفه فاخرجه من هذا بعد ان اعطاه عشرة فرنكات. ورجع رامبو الى شارل فيل جائعا صفر اليدين في آذار ليغادرها من جديد الى باريس في نيسان حين امل في ان يشترك في (الكومون) وتطوع في فرقة (جنود الثورة). وبعد تجربة جسدية عنيفة في الثكنات – مورس فيها معه الشذوذ الجنسي – عاد الى شارل فيل في ايار حيث كتب الرسالة التي

---

(٥٥) نفسه ، ص ٢٨٢.

(٥٦) نفسه ، ص ٦٥.

(٥٧) نفسه ، ص ٢٦-٢٧.

تعتبر اليوم بيانا شعريا حقيقيا. كان قد امضى الشطر الاعظم من الربيع في بؤر قذرة يشرب الجعة بكميات كبيرة ويدخن الغليون بلا انقطاع .. "[٥٨].

ليس هذا هو المهم ، فما اكثر الشعراء الذين تاهوا في البؤر القذرة وشربوا بلا انقطاع ومارسوا الجنس وفق طرائقهم الشاذة ، انما المهم هو ما يعلقه ، مؤلف الكتاب على هذه التجربة العنيفة المدمرة التي بررها فرويد فاعطى بذلك الاشارة اليهودية المعروفة في تاريخ بني اسرائيل وفي بروتوكولاتهم على السواء[٥٩]. ذلك ان فاولي يقرر ببساطة ان رامبو كان من خلال هذه التجربة يمارس بلا ريب " نوعا من تحرير الذات وامتحان النفس بصورة ارادية ، وبالكبرياء الذي تميز مراهقا عبقريا ، وكان يحاول بلوغ الصفاء الروحي عن طريق استنزاف الجسد ، والتمادي في التصرف به تصرفات كانت خليقة بان تصدم امه وتصدم معها المقاييس البورجوازية(!!)[٦٠] كان يحاول الوصول الى حالة من الوعي الباطني سوف يدعوها فيما بعد la voyance او الرؤيا. لقد امل في ان يرقى بروحه الى مرتبة جديدة ، بالحط من ذاته الجسدية والاجتماعية. كان رامبو في الحقيقة يمارس قهر الجسد بصورة ساخرة اومعكوسة .. وهو يحدد مبدأ حياته الجديدة فيقول : انه سعيه الارادي الى الانحطاط : (اتعهد نفسي ، انهمك في الخلاعة ، والأهم من ذلك انه يبين علة هذا المبدأ (اجتهد كي اصير رائيا) ... "[٦١]. لقد رأى رامبو "ان على الانسان ان يختبر سموم الحياة ويستنفذها لكي يخبر جوهرها .. هذا ما ينتظره العالم او العارف، لكن بعد ان يكون قد اجتاز بالمرض والجريمة والتجديف. آنذاك فقط يعانق المجهول "[٦٢].

هكذا اقترن اسلاف السرياليين في الادب بموضوع العنف ، وجاءت السرية ووصف الرذيلة في الروايات القوطية لهوراس والبول وآن راد كليف وماتوران ولويس ، بمثابة اعادة نظر في المقاييس الاجتماعية والاخلاقية. وقد طالما اكد اندريه بريتون على مشاركة ساد في دراسة وعي الانسان لذاته ، واعتبر لوتريامون كانه ساد آخر يستوحي في آثاره قوة القسوة وجاذبية الجريمة ، حتى لتصح تسميته مؤسس الحركة الحقيقي "[٦٣]. باختصار ان السريالي يسعى الى

---

(٥٨) نفسه ، ص ٦١ ، وهنالك دراسة تحليلية قيمة عن رامبو في كتاب كولن ولسون : سقوط الحضارة ، يمكن الرجوع اليها للاستزادة من التفاصيل.

(٥٩) جاء في احد البروتوكولات (وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ، ذات الزعامة ، ادبا مريضا قذرا يغثي النفوس ، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الادب) ، ص ١٧٠.

(٦٠) انظر : البروتوكولات ، ص ١٣٠ ، ١٦٨ ، ١٧٧.

(٦١) عصر السريالية ، ص ٦١-٦٢.

(٦٢) نفسه ، ص ٧١.

(٦٣) نفسه ، ص ٢٨٩.

التحرر الكامل ، وان عبارة بريتون الشهيرة (كلمة الحرية وحدها) لتكون موقف السريالي الاساسي[٦٤].

***

ولم تسلم اللغة ، أداة التواصل البشري ... وسيلة التعبير عن القيم والبداهات ، من معاول السرياليين الذين وجهوا ضرباتهم الاولى لقواعدها وتراكيبها ، فاعطوا بذلك الاشارة .. الاشارة المتطرفة للموجات الاوربية المتلاحقة التي جاءت بعدهم وآخرها موجة الطليعيين من رواد العبث واللامعقول[٦٥].

ونستطيع من خلال دراسة فاولي للشاعر الفرنسي رامبو ان نتلمس الخيوط الاساسية لموقف السرياليين من مسألة اللغة والتي نوردها ملخصة قدر الامكان :

إنه يتوجب على الشاعر ، انسجاما مع نزعته للتغرب ، ان يصير غريبا عن لغة قومه ، عن اللغة المألوفة التي يسمعها ويستخدمها عادة ، وان يكشف اللغة الاخرى الكائنة في الذات الحقيقية او الاسطورية .. وكل منا يحتفظ بكلمات لقنها في طفولته ، وعلى الرغم من انها تكون قد فقدت معناها بالنسبة اليه فانها تعمر احلامه وعالمه اللاواعي .. وهناك عبارات اخرى تعيش فينا كصيغ مكثفة لحياتنا ومعتقداتنا كأغنيات تلخص ما نتمسك به دون فهم حتى ان النطق بهذه العبارات يهز حياتنا ويبعث فيها الحرارة .. ان الكلمات اساطير اذ يمكن لصدى الحروف ان يكون قوي الوقع في نفوس البشر ، حتى اننا ننقاد للكلمات اكثر مما ننقاد لاية قوة اخرى .. وهذا يعني ان الكلمات اكثر حقيقية من الاشياء التي تدل عليها او الافكار التي تعبر عنها. آنذاك تكون الكلمات هي الحقيقة لا الاشياء التي تصفها. ولذلك يصبح ابداع القصيدة نوعا من اعادة تنسيق الكلمات ووضعها بشكل غير مألوف لكي تقدم وجودها والوانا مختلفة من اسطورتها . هكذا لن يحاول رامبو والسرياليون والشعراء الحديثون بصورة عامة ان يوضحوا تجاربهم في اشعارهم ، ولن يحاول بيكاسو ان يصف تجربته في لوحاته .. انهم متواضعون ، والاصح انهم يائسون من فهم الموضوع معقد ومتنوع كموضوع التجربة الانسانية. ان جل همهم هو ان يقدموا طيفا قزحيا للحياة وان يبتكروا نسقا جديدا للاشارات وترتيبا غريبا للصيغ يلقي على الحياة اضواء وظلالا جديدة دون ان يفسرها.

إن الرؤى الخفية التي لا تحصى والتي تكمن في كل انسان يمكن ان تنكشف عن طريق اتباع نظام خاص للحواس هو الاختلال هذه النظرية التي ترد بايجاز في رسالة رامبو ، تتضمن

---

(٦٤) نفسه ، ص ٢٥٧.

(٦٥) انظر عن موقف هؤلاء الكتاب من اللغة كتاب (فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر) للمؤلف ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت–١٩٧٧).

كل طرائق السريالية واساليبها كالكتابة الآلية واللاشعور وحلم اليقظة والتخدير والنزعة السحرية ونقض الذاكرة وتمجيد الذات .. لقد اصبح النسق الجديد في الخلق الشعري كما يلي :

كلمة تخلق عالما ، فتحاول افكارنا على الاثر ان تسامت الكلمات او تناغمها. ويعني استعمال اللغة هذا ، ان اللغة ليست وسيلة معرفة بل هي وسيلة لنسيان المعرفة العادية (!!) وساطة لفقدان المرء نفسه واكتشافه لطبيعته الهائلة. فالمعرفة العادية التي نحصل عليها عن طريق ما يسميه رامبو بازدراء : التقدم العقلي ، تبقينا في حدود الاشكال الشائعة وانظمة التفكير والعمل الزائفة ، اما الطريقة الاخرى ، طريقة فقدان النفس ، فهي شبيهة باسلوب التعزيم في طقوس العبادة الدينية ، التي يمكن بوساطتها بلوغ ما يستعصي على التعبير وهو اقصى ما يمكن بلوغه من تعريف فوضوية السريالية. (العبارة) التي كانت فيما مضى تعبيرا عن المنطق والنظام ، وصارت في نظر رامبو الصيغة الجديدة للهذيان.

المبدأ المهم في هذا المذهب او الآلية الشعرية ، هو ان نبدأ عند خلق القصيدة بالكلمات بدلا من ان نبدأ بموضوع او عاطفة او فكرة .. وهناك عدو ينبغي للسرياليين اجتنابه ، وهو ما نشير اليه عادة باسم الحقيقة الواقعة ، انه أي موضوع او اية تجربة واعية نسميها (الواقع) وهي تسمية خاطئة بشعة (!!). ان الكلمات حين تستعمل وفق الطريقة السريالية تكون ذات معان مبهمة تستعصي على الفهم .. وليست طريقة رامبو الشعرية ، كما تتضح من خلال ما تقدم ، تجربة رفيعة جدا وحسب ، بل هي الى ذاك تجربة خطرة ، انها تقتضي الكثير من الهدم ، هدم النظم والتقاليد والنماذج المألوفة والقواعد التي بدا انها انظمة لا غنى عنها ، مما يمكن ان يحول الشاعر الى انسان يزدري النظام ، انسان فوضوي في مزاجه وتقنيته .. وقد اعتبر رامبو هذه الطريقة خطرة لانها تفتح الباب امام الدجالين والكتاب الذين لا يعرفون الاصول والذين يتصنعون الرؤيا. والواقع ان كثيرا من السرياليين الضعاف الفاشلين ادعوا صلات بينهم وبين رامبو وحاولوا ان يكرسوا نتاجهم بالانتساب الى طريقته ، انهم نماذج من الفنانين الذين ورثوا تقنية خطرة وراحوا يقدمون شهادة خاطئة على اسلوب شعري معين .. وكانوا يفتقرون الى البيئة والنظام الداخليين اللذين ميزا تجربة رامبو الانسانية[٦٦].

وفي خاتمة الكتاب يعود فاولي مرة اخرى الى الحديث عن مشكلة اللغة لدى السرياليين – لكي يبررها – " ان الكتابة الآلية التي اعتبرت ذات يوم الكشف السريالي الاساسي ، تعتبر اليوم تجربة اخفقت. لكن ما كان مقصودا بها قد ادرك اليوم معنى اشمل ، اذ انها تفهم اليوم فهما اكمل. ان الكتابة الالية كانت هجوما على انماط التفكير العادي ، واللغة العادية ، كانت محاولة للنفاذ الى ما وراء التناقضات والتعارضات التي تفسد تفكيرنا وتأملاتنا الواضحة. وقد

(٦٦) انظر عن مسألة اللغة بالتفصيل : عصر السريالية ، ص ٦٥–٧٧.

اعتقد السرياليون اعتقادا تاما انها واسطة لادراك المطلق ، وعكفوا على كشف الفراغ والزيف في الكلام المنطقي ، كما كافحوا لتحرير الكلمات من عبودية البلاغة ، فقد تأملوا ان تظهر الكلمات حرة بفعل تمارين الكتابة الآلية. وذلك ان اللغة التي املوا ان يمسكوا بها هي اللغة الكامنة وراء الصمت والتفكير المباشر " ، ويخلص فاولي الى القول بأن " من اكثر اهداف البرنامج السريالي حماسة ، الرغبة في استبدال دراسة سيكولوجية الانسان بذهول هذياني غثائي في طبيعته "[٦٧].

وفي مكان آخر يشير في تعليقه على نهج هنري ميلر في الكتابة الى انه " يقترب من النهج السريالي الى حد بعيد ، في لحظات الحمية والحرارة ، انه ينبجس في دفقات غزيرة وكأن الكاتب منوم مغناطيسيا ، وموجه تملى عليه الكلمات املاء ، فهو لا يفرض على سرده شكلا مسبقا ، لانه هذيان اكثر مما هو سرد "[٦٨].

وهذه قبل ان نمضي الى ختام بحثنا هذا ، نماذج (موجزة) (للهذيان) في الشعر والنثر :

" بلى لاجلي ، لاجلي أزهر ، أنا المقفرة
تعرفين ذلك يا حدائق الياقوت الدفينة
بلا نهاية في وهاد عليمة مبهورة
ايها الذهب المجهول ، الذي يحفظ بريقه القديم
تحت النعاس المعتم ، نعاس ارض اولى
وانت ايتها الحجارة الكريمة التي تمنحين عيني
هاتين الجوهرتين الصافيتين بريقهما المنغم ، وأنت
ايتها المعادن التي تعطين شعري الفتي
بهاءه القاتل ، وانسيابه الكثيف !
اما انت ، يا امرأة ولدت في عصور خبيثة
كخبث مغاور العرافة
يا من تتحدثين عن الفاني ، انت يا من تقول
ان العطر الوحشي الملذات سيخرج
من وريقات ثيابي ، رعشة عريي البيضاء
تكهني ان لازورد الصيف الرطب
الذي تميل اليه المرأة بالفطرة لو رآني في حيائي الكوكبي الراجف

---

(٦٧) انظر بالتفصيل المرجع نفسه ، ص ٢٨٢-٢٨٥.

(٦٨) نفسه ، ٢٦٨.

لمتّ ! "[٦٩].

***

" ذات مساء شبه ضبابي في لندن

جاء يلاقيني

متسكع يشبه حبي

وقد رماني بنظرة

جعلتني اغمض عيني خجلا

تبعت هذا الغلام الشرير

الذي يصفر ويداه في جيوبه

كنا بين البيوت نبدو

موجة مفتوحة من البحر الاحمر

أنا فرعون وهو العبرانيون "[٧٠]

***

"ايتها المحتضرة المجنونة ، يا اسيرة السهل

الضوء يختبئ عليك فانظري الى السماء

لقد اغمضت عينيها لكي تهاجم حلمك

واغلقت ثوبك لكي تحطم اغلالك

امام العجلات المتشابكة

تضحك مروحة مقهقهة

في شباك العشب الخائنة تفقد دروب صورتها

الا تقدرين ان تحملي الامواج

المبحرة على سفن من اللوز

في راحتك الدافئة اللطيفة

او في غدائر رأسك ؟

تريد صرخة واحدة ان تنفجر من الفجر المكمم

شمس دوارة تتلألأ تحت القشر

---

(٦٩) مقاطع من قصيدة (هيروداياد) لمالارميه : عصر السريالية ، ص ٩٩-١٠٠.

(٧٠) مقطع من قصيدة (اغنية العاشق المعذب) لابولينير ، عصر السريالية ، ص ١٣٣-١٣٤.

تمضي لكي تستقر على جفنيك المغمضتين

حين تنامين ، ايتها الوديعة ، يتحد الليل بالنهار ... "[٧١]

***

" رائعتي ! انها مثل شظية تحت الظفر. اسألكم الان بينما تحدقون فيها. هل ترون فيها البحيرات التي خلف جبال الاورال ؟ هل ترون كوتشوي المجنون يتعلق بمظلة ورقية ؟ هل ترون قوس تراجانوس يخترق دخان آسيا ؟ هل ترون الحبر الذي يتغذى منه الحبار ؟ كلا، لا اظن! فأنتم لا ترون غير الملاك الازرق البارد الذي جمدته الجموديات. بل انكم لا ترون قضبان المظلة لانكم لستم مدربين على النظر الى قضبان المظلات. وانما ترون ملاكاً، وترون جحش حصان. يمكنكم الاحتفاظ بهما ، ادعهما لكم! ليس على الملاك آثار جدري الان ، ليس عليه غير بقعة ضوئية تبرز احشاءه المندلقة واضلاعه المكسورة. الملاك قائم هنا ليوصلكم الى السماء ، حيث كل شيء يزيد ولا شيء ينقص. الملاك هنا بمثابة العلامة الخفية، بمثابة ضمان على صحة رؤياكم. وليس للملاك غدة درقية متضخمة ، الفنان هو الذي تتضخم غدته ، الملاك هنا لكي يلقي فروع البقدونس في عجلتك ، ليضع البرسيم في عروة سترتك . يمكنني ان امحو الميثولوجيا من عرف الحصان ، يمكنني ان امحو اللون الاصفر الصيني ، يمكنني ان امحو الموعد عن الرجل الجالس في الجندول ، اقدر ان امحو الغيوم ونسيج الورق الذي لفت به طاقات الزهور ذات البرق المتشبع ... اما الملاك فلا اقدر ان امحوه. الملاك علامتي الخفية "[٧٢].

(الهذيان) مرة اخرى ، ونجيء نحن دائماً متأخرين ، فها هي الموجة الجديدة من ادبائنا وفنانينا تطرح على الناس سيلا من (هذيان) مجنون ، تحطمت فيه قواعد اللغة وبداهات الفكر والتصور ، واخذت بخناقه نزعة سالبة لا تريد ان يكون لاي عمل ادبي او فني معنى يقبله العقل ويحيط به التصور ويفسره المنطق ... انه غثاء غير مفهوم ولا متصور ولا مفسر بالمرة ، لا من كتابه ولا من قارئيه ... وليس صعبا على الاديب او الفنان (الذي لا يعرف الاصول) او (الدجال) او (الضعيف الفاشل) ، ان يهذي ويكسر ، بطفولته وسذاجته ، اسس اللغة وقواعدها التعبيريه ، ولكن الصعوبة الحقيقية هي في ان يطوع هذه اللغة ، لا ان يكسرها ، وفي ان يجتاز متاريسها ، لكي يقدم للناس ، بجهد متواصل ، خليق بكل فنان ، عملاً ابداعياً تذعن اللغة لنقله

---

(٧١) مقطع من قصيدة (المراة الاولى) لاليوار : عصر السريالية ، ص٢١٢-٢١٦.

(٧٢) مقطع من كتاب هنري ميلر (الربيع الاسود) مخاطبا احدى اللوحات بعنوان (الملاك علامتي الخفية) عصر السريالية ، ص٢٧٠-٢٧٢، وانظر تحليل فاولي لمسرحية كوكتو (اورفيوس) ولروايته (دم الشاعر): عصر السريالية ، ص١٧٨-١٩٧ ، للاطلاع على نماذج اخرى للهذيان السريالي في مجالي القصة والمسرحية كذلك.

على جسورها الطويلة الى اذهان الناس وافئدتهم فيدركوه ويتصوروه ويفسروه ... وفي هذه المواقف تكمن القيم الحقيقية لكل ابداع[٧٣].

ان النحات – على سبيل المثال – عندما تجابهه تحديات ومصاعب الكتلة ، التي يعمل فيها إزميله ، لا يسعى إلى تحطيم هذه الكتلة ولكن إلى الالتفاف حولها ، وتطويعها ، وارغامها على ان تستجيب لارادة الانسان واصراره وتطلعاته ... وهذا هو الفرق بين الفعل المجاني ، الرخيص ، السهل ، المبتذل ، وبين التفنن والابداع .

والحق ان الذي يقرأ كتاب (عصر السريالية) يخرج بنتيجة أوسع وأكثر اهمية ، وهي أن الغرب إذا كان يلعب معنا ، في صراعه الحضاري عامة والستراتيجي – الاقتصادي – السياسي خاصة ، لعبة اليمين واليسار ، فانه على مستوى (الفكر) يلعب (مع نفسه) لعبة التأرجح الابدي القلق بين اليمين واليسار ، والتطرف الدوري الرهيب صوب هذا الاتجاه او ذاك. فما دامت العقيدة الاساسية ، المتوازنة ، الشاملة ، مفتقدة هناك ، وما داموا لا يملكون معاير موضوعية قديرة على مواجهة التحديات التاريخية ، وتغيرات الزمان والمكان ، فانهم سيظلون في حالة (ارتجال) دائم وانفعال متوتر ذي مقاييس وقتية ومعايير نسبية تقودهم إلى اتخاذ اشد المواقف تطرفا وتناقضا وتضادا.

اننا ، من خلال النزعة السريالية ، ومن قبلها الدادائية ، نلمس نزوعا هائلا للتدمير والتحطيم تشمل حتى بداهات اللغة ومعطيات العقل الطبيعية وسوية النفس البشرية ، وتتوغل بعيدا باتجاه عوالم الاحلام والعقد و الكبت والجنون بمواجهة عالم افتقدت علاقاته الخارجية ومؤسساته الاجتماعية وديناته واخلاقه أي مبرر او اغراء. ولشدة تطرف السريالية في موقفها هذا وصفها اراغون في روايته (فلاح باريس) ، المنشورة عام (١٩٢٤) بأنها احدث دوار يمنح للانسان ، وبسليل الجنون والظلام "داء اخر اعطى للانسان : السريالية بنت الجنون والدجنّة "[٧٤].

*****

ونجد انفسنا ، من خلال عرضنا الموجز هذا ، في صراع فكري ، كحلقة من حلقات صراعنا الحضاري الشامل في العالم المعاصر ، ازاء الصهيونية بشكل خاص .. وهذا الصراع يحتم علينا المزيد من (تأصيل) شخصيتنا ، هنا في عالم الفن والفكر والادب ، تماما كما يتحتم هناك في عالم السياسة والعقيدة والحرب .. وهذا (التأصيل) الذي نجده منبثا في حنيا كتاب الله ونداءات رسوله عليه السلام هو (البديل) الوحيد لهزيمتنا . واي اختيار غيره في عالم الفكر

(٧٣) انظر عن هذه المسالة كتاب (في النقد المعاصر) فصل (ازمة التعبير) للمؤلف.

(٧٤) عصر السريالية : ٢٩٤.

والسياسة او العقيدة ، يجيء بمثابة انتحار او تاكيد للهزيمة على الاقل.

اننا ازاء احد موقفين لا ثالث لهما : ان (نقلد) الغالب ونتبعه فنفنى فيه ونضيع .. او ان نمحص معطياته ونحللها وننقدها فنرفضها ونتقبلها فنجد ذاتنا . وعلى هذا الضوء يبدو الكثير من اتجاهات (الالغاز) ، و(التخريب) اللغوية والادبية والفنية في تاريخنا المعاصر تراجعا وانتحارا، فلو تمكن العدو من دفع المثقفين والادباء والفنانين إلى الانغمار في ذواتهم وعوالمهم الباطنية ، والتسليم بمعطيات لاواعيتهم ، والاستجابة لنداءات العقد والكبت والجنون، دون غيرها من النداءات ، امكنه ان يسوقها كما تساق الانعام !!.

وفي مقابل هذا تبدو محاولات النقد والتمحيص والتقبل والرفض ، تاصيلا لشخصيتنا وتوكيدا لذاتنا ، في حمأة صراع رهيب. معقد ، متشابك ، شامل .. خاسر فيه لا محالة من لا يملك شخصية ولا ذاتاً!!

ومرة اخرى تبقى لعبة اليمين واليسار ، هي اللعبة السائدة في عصرنا هذا ، سواء في ساحات الحرب والاستراتيجية والعقيدة والسياسة ، ام في ميادين الافكار والعلوم والاداب والفنون!!

(١)
الملحق الاول

اقتبست الوثائق والمعلومات الواردة في هذا (الملحق) من كتاب(العلاقات السرية بين الشيوعية والصهيونية) لنهاد الغادري ، بعد ان أضغت اليها من مراجع اخرى وبخاصةكتاب الدكتور عمر حليق (موسكو واسرائيل)، وبعد أن أعدت تنسيق المادة وتبويبها وتركيزها بما يتيح للقارئ الالمام الواضح بابعاد العلاقات بين الطرفين.

ويجب أن اشير هنا الى أن التاكيد (الوثائقي) على حقيقة العلاقات بين الصهيونية والشيوعية – كأخطر حركة يسارية في التاريخ – لا يعني أبدا اغفال أو (تصغير) الدور الفاضح الذي مارسه الجناح الرأسمالي (اليميني) في اسناد الصهيونية متمثلا ببريطانيا حيث وعد بلفور المشؤوم اولا ، وبامريكا حيث خضوع الحاكمين والرأي العام ، على السواء للعلق الصهيوني الذي يعرف كيف يتصرف بالدم الامريكي لحسابه الخاص وحساب ضمانات الوصول الى (البيت الابيض)!!

ولن يغيب عن اذهاننا ما أكدناه في هذا البحث أكثر من مرة ، من أن اليمين واليسار أساسا هي اللعبة الخطرة التي حققت وتحقق بها الحركة الصهيونية خططها ومشاريعها . وسواء كان اليمين رأسماليا أم أشتركيا ، وسواء كان اليسار انكليزيا أم أمريكيا أم جيكوسلوفاكيا فالموقف واحد ... والضحية واحدة ... وهي (نحن) الذين لازلنا نمارس (اللعبة) ونتأرجح ، ببلادة محزنة ، بين اليمين واليسار. ان الوثائق الواردة هنا – وغيرها كثير – تتوقف عند حرب (حزيران ١٩٦٧)، وما حدث بعد ذلك معروف ، لا يحتاج الى شرح او تعليق ، بقدر ما يحتاج الى تثبيت وتاريخ. ورغم أنه منقوش على أعصابنا المرهقة ، الا أن الأجيال القادمة يجب أن تعرف ... يجب أن تعرف ...

اولا : القيادات اليهودية للحركة

" هذه لوحة بسيطة لبعض العناصر القيادية اليهودية في الحركة الشيوعية . ولم نحدّد جميع هذه العناصر لان الاحصاء لها بلغ معنا خلال فترة قصيرة – سنتين !!– ستة الاف يهودي كان لهم اكبر الاثر في تاريخ الحركة الشيوعية : فكريا وتطبيقيا. واللوحة مجرد نموذج متواضع ".

كارل ماركس (١٨١٨–١٨٨٣) : حفيد الحاخام مردخاي ماركس ، تنصر ابوه بعد ولادته وظل يهوديا. صاحب النظرية الماركسية ومؤسس الفكر الشيوعي. ألماني. اتصل عام (١٨٦٢) بفيلسوف الصهيونية الاول وواضع أساسها النظري (موشيه هيس) وعن هذا أخذ (هرتزل) مؤسس الصهيونية. وقد بلغ من اعجاب ماركس وتأثره بهيس أن كتب عنه فيما بعد يقول " لقد اتخذت هذا العبقري مثالا وقدوة لما يتحلى به من دقة في التفكير ، واتفاق آرائه مع عقيدتي وما اؤمن به. انه رجل نضالي الفكر والسلوك " وموشيه هيس هو صاحب كتاب (الدولة اليهودية) وأساس تفكيره هو " أن ما لا يستطيع اليهودي الفرد ان يحصل عليه بسبب يهوديته ، فان الشعب اليهودي يستطيع الحصول عليه بسبب قوميته ". وقد حذر هيس الشعوب الاخرى من أنه سيكون هناك شعب آخر في النضال القادم هو الشعب اليهودي ، وسيخاصم هذا الشعب من يختار ويصادق من يختار ، وهو قادر على أن يضر وينفع.

ولقد قال الحاخام لويز برونس عن كارل ماركس انه " كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه ، وفي كل ما قام به وأعدله ، فكرا وأسلوبا. أشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية "!!

لينين (١٨٧٠–١٩٢٤) : قائد الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي عام (١٩١٧) يضاف اسمه عادة الى الماركسية فيقال (الماركسية–اللينينية) للاشارة الى الفكر والتنظيم معا. اسمه اليهودي (زيدر بلوم). وقد كان الاعتقاد السائد. هو أن لينين وحده من بين المجموعة الماركسية التي قادت الثورة لم يكن يهوديا وان تكن زوجته يهودية. غير أن دراسة حديثة صدرت عام (١٩٦٥) لكاتب يهودي امريكي عاصر لينين ورافقه هو (لويس فيشر) تؤكد أن لينين يهودي الاصل. وهو ما سبق وذهبت اليه من قبل مجلة (فرنسا القديمة) عام (١٩١٨) ، وصحيفة (الساعة) الباريسية ذات الاتجاه الراديكالي الاشتراكي عام (١٩١٧) ، وقالت الاخيرة أن اسم لينين اليهودي هو (زيدر بلوم).

كروبسكايا : زوجة لينين. شغلت أمانة سر لجنة تحرير (الايسكرا)، أول صحيفة شيوعية. وأعانت زوجها حتى وفاته.

تروتسكي (١٨٧٧-١٩٤٠) : رئيس سوفيات بطرسبورغ عام (١٩٠٥) وأحد المحرضين على الثورة التي أخمدت. أسهم في ثورة (١٩١٧). كان مفوضا للشعب. نظم الجيش السوفياتي. ثم نفاه ستالين بعد وفاة لينين فغادر روسيا الى المكسيك. وفيها اغتاله ستالين. يعتبر كتابه (الثورة الدائمة) أحد مصادر الفكر الشيوعي ويعتنق مذهبه اليوم الصينيون. اسمه الاصلي (برونشتاين). عاش فترة من حياته في نيويورك.

بارخوس : رئيس سوفيات بطرسبروغ – لينغراد بعد تروتسكي. أسهم في ثورة (١٩٠٥).

مارتوف – تسيدر بلوم : عضو تحرير صحيفة (ايسكرا) الصحيفة الشيوعية الاولى.

أكسلرود : عضو تحرير صحيفة (ايسكرا) أيضا ومن القادة الاوائل للحركة مع بليخانوف في جنيف.

زاتسوليتش : عضو تحرير صحيفة (ايسكرا).

روزا لوكسمبرغ : قادت ثورة شيوعية في المانيا بعد الثورة الشيوعية الاولى في روسيا ولكنها أخمدت ، واعدمت. أسهمت في جميع النشاط الشيوعي الذي سبق ثورة روسيا وكانت مع اعضاء حزبها شريكة في التخطيط للحركات الثورية في اوربا.

زينوفييف : كان يعرف مع لينين وكامينيف بالثلاثي. وهو صديق لينين الشخصي وأحد أبرز العناصر الشيوعية. عارض ستالين فصفاه مع من صفى. ترأس الاممية الشيوعية عام (١٩١٩ حتى عام ١٩٢٦).

ليبر – غولدمان : من رواد الحركة الاوائل. اسهم في مؤتمر لندن عام (١٩٠٧) وكان احد العناصر الفعالة والنشيطة في العمل الشيوعي.

دان – غورفتيش : من (الايسكريين) أي الرواد الاول للحركة. أسهم في مؤتمر لندن عام (١٩٠٧) أيضا وكان مؤيدا للينين ثم عارضه وانضم الى مارتوف.

كامينيف : اول رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة ، رفيق لينين وثالث الثلاثي ، عارض ستالين أيضا بعد وفاة لينين فصفاه واتهمه بالانحراف.

لتفينوف : واسمه ماير والاش. وزير خارجية روسيا بين (١٩٣٠-١٩٣٩) أسهم في سرقة بنك تفليس التي نظمها ستالين قبل الثورة للحصول على المال وتمويل الحركة الشيوعية.

سفردلوف : أحد قادة ثورة تشرين في روسيا ومن العناصر البارزة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي. وثاني رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة. ورئيس لجنة الدستور.

موردكاي بوغروف : اشتراكي ثوري ومحامي. اغتال رئيس وزراء روسيا (ستولبين) وأحد العناصر الاساسية في الحركة الاشتراكية الثورية !

يوريتزكي : رئيس مفوضية الجمعية التأسيسية التي قامت في أعقاب الثورة.

يوروفسكي : مفوض الحزب في مدينة ايكاترتبرغ ، وهو الذي أصدر أمر اعدام القيصر وعائلته وخدمه ، وقام بنفسه بالتنفيذ. ثم أمر باحراق الجثث. وقد أطلق على المدينة بعد الثورة (سفر دلوفسك) تكريما لسفر دلوف ثاني رئيس للجمهورية السوفياتية وهو يهودي سبق ذكر اسمه.

ماريتنوف – بيكل : عضو مجلس تحرير صوت الاشتراكي الديمقراطي ومن القادة المفكرين للحلقات الماركسية الاولى.

ابراموفيتش : زعيم الاتحاد اليهودي الاشتراكي. حضر مؤتمر الحزب الخامس في لندن وأسهم فيه.

رادك : صاغ نداء مؤتمر باكو الى المسلمين وشعوب الشرق واشرف على اعداده. قاد الحزب الشيوعي الالماني بعد اعدام رزوا لوكسمبورغ. عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة لينين.

وارون ايرفوفتش كرمر : عضو اللجنة المركزية للمؤتمر الاول للحزب الذي وحد المنظمات الماركسية في روسيا القيصرية. وكان يمثل في اللجنة الثلاثية الاتحاد الاشتراكي اليهودي.

ديمنشتاين : اسمه : سيمين ماركو فتش. عمل رئيسا للفرع اليهودي في الحزب الشيوعي. عمل مساعدا لستالين في شؤون القوميات.

روزن : رئيس الدائرة الشرقية في جامعة سانت بطرسبرغ. تولى صياغة التوحيد البلشفي نظريا الى الاسلام والشعوب الشرقية.

كورش : أستاذ الحضارات الشرقية في معهد (لازاروف) في موسكو في اعقاب الثورة.

ميخائيل بافولوفيتش – لازار فانتمان : رئيس جمعية الدراسات الشرقية. ورئيس تحرير مجلة الشرق الجديد بعد الثورة.

روزشتاين : المشرف علي جميع الشؤون الشرقية وما يتصل بالعلاقات الروسية – الاسلامية في الدولة الشيوعية بعد الثورة. وقد أشرف على تأليف أول حزب شيوعي في فلسطين عام (١٩١٩) وكان حزبا يهودي القيادة ، والى العناصر القيادية في هذا الحزب أوكل أمر انشاء الاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية.

شميدت : نائب رئيس تحرير دائرة المعارف السوفياتية الكبرى ، وكان مسؤولا عن كل ما يتصل بالعرب والمسلمين.

لوناشارسكي : شغل منصب مدير التوعية الثقافية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي.

بارتولد : متخصص في الشؤون الاسلامية ، وهو صاحب شعار : الاسلام دين الاشتراكية كانت مهمته تفسير الاسلام والتاريخ العربي تفسيرا اشتراكيا.

بيلاكون : قام بثورة في المجر وتسلم الحكم فيها في أعقاب الثورة الشيوعية ثم مالبثت الثورة أن سقطت وهرب الى روسيا. اشترك في الثورة الشيوعية مع لينين. أسهم في صياغة نداء مؤتمر باكو الى شعوب المسلمين في روسيا والشرق.

روزمار : مثل فرنسا في مؤتمر باكو واشترك في صياغة ندائه !

ريد : مثل امريكا في مؤتمر باكو وأسهم في صياغة النداء الى المسلمين.

شتاين هارد : مثل النمسا في مؤتمر باكو. ووقع النداء.

جانيسين : مثل هولندا في مؤتمر باكو ووقع النداء.

شابلين : مثل البلقان في المؤتمر ... ووقع النداء!!

روث فيشر : تولت قيادة الحزب الشيوعي الالماني موفدة من الاممية الشيوعية عام (١٩٢٤) وقد خلفت رادك الذي خلف روزا لوكسمبورغ بعد اعدامها.

كارل لايبنخت : شريك روزا لوكسمبورغ في قيادة الثورة الشيوعية في المانيا عام (١٩١٨) اعدم معها بعد اخفاق الثورة.

لازار كاغوفيتش: احد رؤساء جمهوريات الاتحاد السوفياتي. تزوج ستالين أخته ، وابنة ستالين سفيتلانا ابنه. واسرة كاغوفيش أسرة يهودية عريقة النفوذ في المجتمع الروسي قبل الثورة وبعدها !!

أنا باوكر : سكرتيرة الحزب الشيوعي العامة في رومانيا بعد الحرب الثانية والحاكمة المطلقة فيها. هاجر أخوها وأبوها الى اسرائيل وأقاما فيها.

ماتياس راكوزي – يرونو جيرو – زولطان فاس : حكام المجر الثلاثة بعد الحرب الثانية عام (١٩٤٥). وقد عين الجيش الاحمر راكوزي ديكتاتورا على المجر ويليه جيرو ثم فاس في المناصب المسؤولة في الدولة.

مينك – سكربيزفسكي– برمان : حكام بولونيا بعد الحرب. والاخير كان معتمد الاتحاد السوفياتي لقيادة بولونيا من وراء الستار.

موسى بيجادة : قائد شيوعي تولى تدريس (تيتو) وتهيئته !!

سلانسكي : دكتاتور جيكوسلوفاكيا السابق. عينه الشيوعيون في السلطة ثم شملته حركة تطهير كبرى على يد عناصر يهودية أيضا.

ايسلر : زعيم الحزب الشيوعي الامريكي بين أعوام (١٩٣٥–١٩٤٧) أدينت أخته بأحدى تهم التجسس في امريكا لحساب الشيوعية.

ج. بيترز : اسمه الحقيقي غولد برغر. مساعد ايسلر في قيادة الحزب الشيوعي الامريكي.

جون غايتس – غلبرت غرين – غس هول – جيكوب ستاشيل – ايرننغ بوتاش – كارل ونتر : أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الامريكي وجميعهم من اليهود.

اسرائيل امتر – ماريان مكسويل ابت – الكسندر تبلمان – ايزيدور بيغون – جورج ب. تشارني – اليزابت غرلي فلين – بتي غانيت – سايمون غرسون – فيكتوري جبريمي جيردم – جاكوب مندل – لويس فاينشتوك – وليام فون ماينتشون – فريد فاين – وليام ورمان مارون – سدني شتاينبرغ : اعضاء المكتب السياسي الثاني للحزب الشيوعي الامريكي. تولوا قيادة الحزب بعد اعتقال قادة الصف الاول.

يعقوب كوجمان : يهودي عراقي ومن مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق وقيادته.

أميل– اوسكا – مولر: ثلاثة شيوعيين يهود حملوا الاموال والتوجيهات الاجنبية للحزب الشيوعي السوري اللبناني. وقد وردت أسماؤهم في اعترافات (رفيق رضا) القائد الشيوعي القديم. وجميعهم من موفدي الكومنترن.

نخمان ليفتسكي : شيوعي يهودي من فلسطين. شهد مؤتمرات الحزب الشيوعي اللبناني السوري ونصح بتشديد الحملة على الاحزاب والقيادات الوطنية واتهامها بالانتهازية.

برنمو : يهودي شيوعي من فلسطين. كان مستشارا لقيادة الحزب الشيوعي السوري – اللبناني.

هلل شفارنس : مؤسس منطقة الايسكرا في مصر. وقد انضمت هذه فيما بعد الى منظمة كوريل وغدا أسمها المشترك (حداتو).

جاك تيبر– شامي. رئيس الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان. يهودي روسي الاصل من فلسطين. شغل منصب سكرتير عام الحزب منذ عام (١٩٢٥) حتى نهاية عام (١٩٢٦) وهو الذي رشح بكداش لقيادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني بعده.

أفجيدور : يهودي روسي. انتدبه الكمونترن لتأسيس الحلقات الماركسية الاولى في مصر.

أبو زيام – برغر : شاركا تيبر في توجيه الاحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان وفلسطين والاول يعتبر من أبرز خبراء الكومنترن في شؤون الشرق العربي وقد تزعم الحزب الشيوعي في فلسطين بين (١٩٢٤–١٩٢٩).

كوريل : يهودي مصري ايطالي الاصل. مليونير (!!) أسس الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني في مصر. وهي حركة شيوعية انضم اليها لفترة من الزمن بعض عناصر القيادة الحاكمة في مصر قبل أشهر.

ناداب : يهودي روسي. انتدبه الكومنترن لتأسيس الحلقات الماركسية الاولى في مصر.

صديق يهودا : يهودي عراقي ومن مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق.

ساسون دلال : يهودي عراقي. أسس الحزب الشيوعي وتولى مناصب قيادية فيه.

مرسيل اسرائيل : مؤسس منظمة الشعب الماركسية في مصر.

د. هلفان : تستر باسم بافيوس ، وكان وسيطا في ستوكهولم بين لينين والمانيا تلك الوساطة التي انتهت بالسماح للينين بالعودة الى روسيا عبر خطوط النار ليقود الثورة في مقابل أن يشل المجهود الحربي القيصري ويعقد الصلح مع المانيا ويعطيها فرصة التركيز على الجبهات الاخرى.

ستيكلوف : يهودي الماني ، اسمه الحقيقي ناهينسكس. مصدر الامر رقم واحد للجيش الروسي وهو الامر الذي قضى على الانضباط فيه.

غولدنبرغ – اهرليش : يهوديان المانيان. اعضاء في المجلس السوفيات.

٤٣ يهوديا آخرون : أعضاء في اللجنة التنفيذية في مكتب السوفيات في بتروغراد.

يعقوب كريزر : ضابط يهودي سوفياتي كبير اشترك في جميع المفاوضات العسكرية مع البعثات العربية وزار القاهرة.

***

في تقرير رفع عام (١٩١٦) أن ... هناك ثورة تهيأ في روسيا وأن الاشخاص والبيوتات التالية مرتبطة بها : جاكوب شيف – مورتيموف شيف – كوهين لويب وشركاه – أوتو كاهن – فليليكس واربورغ – جيروم هاهدر – كاغننهايم – ماكس بروستينغ. ثم صرح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي ، وقال انه عمل على تحضيرها مع تروتسكي. وفي ستوكهولم كان اليهودي واربورغ ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عدائه لليهود. ثم انضم الى هذه المجموعة من اصحاب الملايين اليهود (والف اشبورغ) و(جيفولوفسكي) الذي تزوج ابنته تروتسكي !!

وتشير مجلة فرنسا القديمة الى ارتباط البيوتات المالية اليهودية التالية : كوهن – لوب وشركاه في امريكا لازار في باريس – غونسبرغ في بتروغراد – باريس – موسكو – سباير في لندن – نيويورك – فرانكفورت – بنك نيي في ستوكهولم. وتؤكد صحيفة فرنسا القديمة في عددها رقم ١١٥ الصادر عام (١٩١٩) ... ان اقامة دولة يهودية في فلسطين هو الهدف !!

***

في اعقاب نجاح الثورة الشيوعية تمت ثلاثة اجراءات لصالح اليهود والحركة الصهيونية:

١– قرار اصداره لينين بتحريم العداء لليهود. وقد اعتبر لينين هذه الجريمة معاقبا عليها، وكان قراره هذا تعبيرا عن عرفان الثورة بالجميل ليهود روسيا في دورهم الاساسي في تقويض

النظام القيصري. وان كان لينين قد أعطى لقراره هذا معنى انهاء (اللاسلامية). أي الموقف المعادي لليهود بوصف هذا الموقف غريبا عن الروح الاشتراكية.

٢- اعلان اصدره ايضا يعد فيه بتأييد اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وكان ذلك في نفس المرحلة الزمنية التي أصدر فيها بلفور الانكليزي وعده المشهور فحققت اليهودية بذلك انتصارين في اتجاهين مختلفين وبقوتين متناقضتين !! وكان هذا الموضوع نقطة الالتقاء الوحيدة عام (١٩١٧) بين الشيوعية والرأسمالية الغربية.

٣- مؤتمر أوصت بعقده اللجنة المركزية للحزب لتحديد اتجاه ومبادئ السياسة السوفياتية في منطقة الشرق الاوسط بوجه عام وتجاه المسلمين بوجه خاص. وقد أوكلت اللجنة الى الثوري (رادك). وهو يهودي ورفيق لينين. مهمة صياغة نداء المؤتمر والاشراف على موضوعاته. كما تولى رئاسة المؤتمر زينوفييف وهو يهودي أيضا. وقد جاءت المقررات والنداء الى المسلمين طبقا لما توخى اليهود. وقد وقعها عن دول العالم عناصر كلها يهودية (انظر اللوحة). (عن جريدة لوموند الفرنسية عدد رقم ١٦٢ أيلول ١٩٦٧) وفي عدد الجويش خويس (الصوت اليهودي) الصادر يوم (١٥ أيار ١٩٧١) وعلى الصفحة ١٦ نشرت الجريدة تحت عنوان (يهود بين الكتاب السوفييت) قالت فيه (استنادا الى تحليل احصائي فان سبعة وسبعين مندوبا من بين الاربعمائة وثمانية واربعين مندوبا الى المؤتمر الاخير للكتاب السوفيات كانوا يهودا. وهذه الاحصائية تضع اليهود في الاتحاد السوفياتي في المكان الثاني بعد الروس الذين مثلهم ثلاثمائة وخمسة مندوبين. وقد حضر المؤتمر ممثلون عن أربع واربعين قومية).

يقول محمد مصطفى (مجلة الشهاب ، عدد ٢٤ ، سنة ٤) تعليقا على الخبر أن من الغباء ان يفترض أحد أن نسبة الربع التي يمثلها اليهود بالمقارنة مع الكتاب الروس لاتسري أيضا على مختلف مناحي الحياة ... ألا يعني ذلك – مثلا – أن جهاز الادارة والمخابرات والجيش والشرطة وأجهزة الحزب الشيوعي نفسه تزخر باليهود ؟!

وفي العدد الثلاثين (كانون الثاني ١٩٧٠) نشرت الجريدة نفسها (الجويش فويس) مقالا بمناسبة مرور مائة سنة على مولد فلاديمير ايليتش أوليانوف المعروف باسم لينين. تحت عنوان (لينين ونضاله من اجل اليهود) !! وقد سبق وأن مرت بنا نماذج من هذا (النضال) !!

وفي عدد (٢٢ اكتوبر تشرين الاول ١٩٦٥) من مجلة (جويش كرونيكل) ، اللسان الرسمي ليهود بريطانيا ، جاء ، وصف لمسيرة اشترك فيها عشرة آلاف يهودي من السوفيات في موسكو ، وبرخصة من الدولة ، احتفالا باحدى الاعياد الاسرائيلية القومية. وتبع هذه المسيرة حلقة نقاش كبرى اشترك فيها اقطاب الدولة السوفياتية لتؤكد ازدواج الشخصية السوفياتية والاسرائيلية معا ليهود الاتحاد السوفياتي. وانتهى النقاش الى أن لليهودية فضلا بليغا على

السوفيات ، لان الامام الاول (كارل ماركس) وهو يهودي نفسه ، استجمع زبدة التراث اليهودي لاستنباط الماركسية – كما تقول المجلة !!

وهنا لابد أن نشير الى الوثيقة الخطيرة المتمثلة برسالة بعث بها ماركس الى الزعيم اليهودي (باريش ليفي) والتي وردت في كتاب Judaisme et Marxisme لمؤلفه Louis Massoutie والذي نشر في باريس عام (١٩٣٩) من قبل: Librairie Academique Perrin Editeur , 35, Quai Des Grands Augustins, 35 وهذا نصها الحرفي :

(ان أبناء اسرائيل المنتشرين الان في جميع أنحاء العالم سيصبحون في هذا التنظيم الجديد للانسانية ، دونما معارضة ، عنصرا موجها في كل مكان ، لا سيما اذا هم نجحوا في ان يضعوا أيديهم على جماهير العمال ، ويفرضوا عليهم اتجاها ثابتا. ان حكومات الامم التي ستشكل الجمهورية العالمية ستنتقل جميعا ، دونما جهد ، الى أيد اسرائيلية بفضل انتصار طبقة العمال (البروليتاريا). أما الملكية الفردية فيمكن أن تصبح عندئذ ملغاة من طرف الحكام المنحدرين من أصل يهودي والذين سيغدون المتحكمين في الثروات العامة في كل مكان. هكذا سيتحقق وعد التلمود متى أزفت ساعة ظهور المنقذ ، ذلك الوعد الذي ينص على أن اليهود سيصبحون هم المتصّرفين في مصالح كل شعوب العالم).

ويمكن للقارئ من أجل مزيد من التأكد ، أن يرجع الى المصدر الاصلي لهذه الرسالة ، وهو متحف لايبزك – أرشيف ماركس – المانيا الشرقية.

Leipzig- Archives de Marx , Allemagne Orintale

ثانيا : نماذج لموقف الاتحاد السوفيتي من قيام اسرائيل

(لقد استمعنا منذ البدء الى مندوبي الدول العربية يعرضون وجهة نظرهم ، ولكننا لم نستمع بعد الى مندوبي الهيئات اليهودية. ان علينا ان نذكر دائما أن قضية فلسطين ليست سوى قضية اليهود. ولذا فلا مجال للبحث في هذه القضية بغير مراعاة مصالح اليهود والاخذ بعين الاعتبار قلقهم. ليس يهود فلسطين وحدهم بل اليهود في كل مكان).

لقد عارض البعض رغبتنا في دعوة ممثلين عن الهيئات اليهودية للمشاركة في اعمال الامم المتحدة ، واستند ذلك البعض في الرفض الى القول بمخالفة مثل هذه الدعوة ميثاق الامم المتحدة. غير ان هذا الرفض مرفوض لدينا. فنحن مقتنعون بأن ليس في الميثاق ما يحول دون دعوة الهيئات اليهودية للحضور أمام الجمعية العامة ، وليس في الميثاق ما يحول بيننا وبين الاصرار على هذه الدعوة. وعلى أي حال ليس مهما أن يوجد مثل هذا النص في الميثاق ما دامت طبيعة المسألة الفلسطينية تفرض علينا أن نعطي اليهود دورا أصيلا في اعمال الامم المتحدة ..

(ان قضية فلسطين هي قضية الشعب اليهودي. ولابد من توفير كل الفرص والاجواء أمام ممثليه للمشاركة ليس امام اللجنة السياسية فحسب، بل وفي الجمعية العامة. والوكالة اليهودية هي الممثل الصحيح للشعب اليهودي في فلسطين ، فلتعطى الفرصة أمام الامم المتحدة لتشارك في بحث ومناقشة قضيتها. واذا كانت هنالك هيئات يهودية اخرى تود المشاركة فسننظر الى طلبها بعين الاهتمام).

من خطاب (غروميكو) المندوب السوفياتي في الامم المتحدة أمام اللجنة التوجيهية بتاريخ ٢ ايار ١٩٤٧ – وثائق الامم المتحدة – محاضر الجلسات

(ان قضية فلسطين لا تهم العرب وحدهم ، بل الامم المتحدة. وآمل أن يعتبر كلامي هذا تأنيبا للدول العربية التي تحاول ان تحصر بنفسها بحث المشكلة الفلسطينية دون ان تراعي شعور اليهود. ان قضية فلسطين تهم كل اليهود ، وهي تزعجنا نحن السوفيات أيضا كلما ارتفع صياح العرب).

من خطاب غروميكو أمام اللجنة التوجيهية في٣ أيار ١٩٤٧

(... وعلى لجنة التحقيق الدولية أن تذكر بأن الاغلبية العظمى من الشعب اليهودي في العالم مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية فلسطين ومستقبلها ومستقبل الحكم فيها. وهذا أمر معقول نستطيع أن نفهم مراميه ونقرها. فلقد اصاب الامة اليهودية نكبات وآلام يستعصي على اللسان أن يصفها. ونحن نسأل الامم المتحدة هنا باسم الشعب اليهودي المشرد بأن تراعي آماله وتحققها فتقر له وطنا وحقوقا. وأنه لمن المنكرأن نمنع عن الامة اليهودية هذا الحق.

ان فلسطين وطن قومي للعرب واليهود معا ولا يجوز أن نمنحها لطرف واحد. والاتحاد السوفياتي يرى أن أفضل الحلول هو أن نعطي اليهود والعرب حقوحا متساوية في دولة واحدة يحكمها الطرفان حكما مزدوجا. فاذا تعذر ذلك فاننا قد نجد الحل في تقسيم فلسطين الى دولتين: دولة عربية ودولة يهودية. وعلى لجنة التحقيق أن تدرس هذين الاحتمالين لمستقبل فلسطين).

من خطاب غروميكو أمام اللجنة السياسية بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٧

(ليست الحجج القانونية ولا التاريخية التي يقدمها العرب الان ذات شأن ، ولا يرغب الاتحاد السوفيتي في الدخول بجدل بيزنطي مع العرب. يكفي ان يعرف أن اليهود قد عانوا الاضطهاد ، وفي مقدمة مسؤولياتنا هنا في الامم المتحدة أن نضمن لليهود وطنا خاصا بهم ، ومن الظلم ألا نساعدهم على ذلك ، ومن حق اليهود الشرعي أن يفرضوا سيادتهم على فلسطين لئلا يكونوا تحت رحمة العرب. فاذا اضطررنا الى مراعاة الشعور العربي فان ذلك بضمان نوع من الوحدة الاقتصادية بينهم وبين الدولة اليهودية الجديدة. ان الاتحاد السوفيتي يدعو ويعمل من اجل اقامة هذه الدولة وضمان مستقبلها. وفي فترة الانتقال فالاتحاد السوفيتي يلح على الامم المتحدة ان تحمل مسؤولية ذلك ، والاتحاد السوفيتي سيساعد بكل الوسائل على تحقيقه).

من خطاب سيمون تسارابكين أمام اللجنة السياسية المؤقتة

بتاريخ ١٣ تشرين الاول ١٩٤٧

(لقد رفض الاتحاد السوفياتي الراي القائل باعلان استقلال فلسطين في الدولة واحدة وأقر خلق دولة يهودية وعربية في فلسطين. ان للعرب واليهود معا جذورا تاريخية راسخة في فلسطين، فمن حق اليهود أن يبنوا هناك دولة ديموقراطية مستقلة تغدو نموذجا للمؤمنين بالديمقراطية في المنطقة ... ان قرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية بل على العكس فالاتحاد السوفيتي واثق من ان التقسيم يخدم مصالح الجماهير العربية المشتركة.

يصر المندوبون العرب على القول بأن التقسيم ظلم بحق العرب. والاتحاد السوفيتي لا يوافق على هذا الرأي لان لليهود روابط وحقوقا وصلات أزلية بفلسطين. وقد قاست الامة اليهودية ظلما واضطهادا كان آخر نماذجهما على يد الهتلرية. فمن الواجب أن نضمن لليهود وطنا قوميا حيث مطلبهم التاريخي في فلسطين. ان الاتحاد السوفيتي يعطف على آمال العرب في التحرر الديمقراطي ، وهو لا يعتبر موقف المندوبين العرب ولا كلامهم السيئ معبرا حقيقيا عن آمال الجماهير العربية في مسألة فلسطين. والاتحاد السوفيتي على أتم الثقة من أن الجماهير العربية وطليعتها القيادية الديمقراطية ستتطلع يوما الى موسكو ترتقب من الاتحاد السوفيتي العون لها في نضالها لمكافحة الاستعمار والرجعية والتخلف) !!

من خطاب غروميكو أمام الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧

(من المستحيل تحقيق الهدنة في فلسطين ما دامت عصابات ووحدات عسكرية قد دخلت البلد من الخارج بقصد شن الحرب والخراب ومعارضة الامم المتحدة في مشروع التقسيم. ان على الامم المتحدة أن تنزل بالغزاة العرب اقسى العقاب وتعيدهم الى الصواب).

من خطاب غروميكو أمام مجلس الامن في جلسته بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٤٨ في اعقاب اشتعال الحرب الاسرائيلية – العربية بعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين

(... ان موقف السوفيات من التقسيم هو موقف المؤيد والمناصر والعازم على التنفيذ. ان التقسيم مشروع عادل لانه يحقق آمال الشعب اليهودي كما يحقق آمال عرب فلسطين ... والذين يدعون بأن المشروع غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففي استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيه. اننا سنلجأ الى جميع الوسائل في سبيل ذلك. والرأي العام العالمي يؤيد وجهة نظرنا وحرصنا على معونة الشعب اليهودي. اننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين اذا كان هدفها أن تعرقل تقسيمها وتترك للعصابات العسكرية العربية افساد حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله).

من خطاب غروميكو أمام مجلس الامن بتاريخ ٣٠ أذار ١٩٤٨

(... لقد أصاب الامة اليهودية فواجع وأضرار كبيرة على يد العنصرية النازية ، ومن الشناعة أن تترك الآن تحت رحمة عنصرية أخرى ... لقد طرأ على القضية الفلسطينية الآن موقف جديد زادها تعقيدا ، هذا الجديد هو العدوان الاجنبي الذي غزا البلد ... ولا مجال للهدنة أن تخدم اغراضنا الا اذا انسحب المعتدون – العرب – ولن ينفع في تبديل موقفنا بازاء هذا العدوان أية بلاغة او منطق. الى متى نظل متجاهلين قرار التقسيم ونعمل على عرقلته ؟ ان الدم يسيل في فلسطين ولا ينفع فيه سوى التقسيم وحزم الامم المتحدة).

من خطاب غروميكو أمام مجلس الامن بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٤٨

(... لقد أعلن اليهود دولتهم ، ونحن نعترف بهم ونؤيدهم ولا حق لمجلس الامن في التدخل الآن. ان قرار التقسيم هو حق شرعي لليهود ، فاذا تجاهل مجلس الامن ، فقد شجع العناصر المعتدية على خلق المشاكل والمتاعب لقد قامت الدولة اليهودية الجديدة واعترفنا بها ، وتبادلنا معها التمثيل الدبلوماسي الكامل ، وقدمت هذه الدولة طلب الانتساب الى الامم المتحدة ونحن نؤيد طلبها. ان العدوان على فلسطين خطر يعرقل استتباب الامن الدولي ، فاذا كان لمجلس الامن دور في الموقف الفلسطيني فهو دور الرادع للعدوان. ان على الامم المتحدة أن تقدر خطورة التدخل العربي المسلح وتصديه لقرارات الامم المتحدة. ان هذا العدوان أمر خطير

جدا ، وسواء أجاء العدوان من الجيوش النظامية أم غيرها فهو عدوان على كل حال وهتك للحق.

ان الاتحاد السوفيتي اذ يرعى حاجات الشرق الادنى بما فيها العرب في الاستقلال والتحرر من النفوذ الاجنبي ، فانه يؤيد حركات التحرر الوطني كلها. وحق اليهود في وطنهم فلسطين هو حركة تحرير تنال من الاتحاد السوفيتي التاييد والحضانة. اننا لانعترف بأن مندوبي الدول العربية هنا في الامم المتحدة يمثلون حقيقة شعور العرب ومصالحهم ، فالحقيقة العربية الشعبية لا تناوئ حركة التحرير الوطني اليهودية ، وانما يناوئها نفر من الرجعيين لا يتمثلون جماهير العرب. ان مصلحة الجماهير العربية مرتبطة جذريا بمصالح حركة التحرير اليهودية الوطنية ، وحين ترتفع قبضة القيادات الرجعية وعملاء الاستعمار. عن الجماهير العربية فالوفاء سيسود بين حركات التحرير الوطنية العربية وحركة التحرير الوطنية اليهودية في فلسطين وتسود بينهما صلات الاخوة ...) !!

من خطاب غروميكو امام مجلس الامن بتاريخ ٢١ أيلول ١٩٤٨

(... ان الدول العربية في غزوها العسكري لفلسطين أنما تتحدى مقررات مجلس الامن٠ وليست هي المرة الاولى التي تتجاهل الدول العربية مقررات مجلس الامن أو الجمعية العامة. أن الاتحاد السوفيتي يسجل هنا رأيه الصريح في العبث العربي بمقررات الامم المتحدة ، وليس من صالح الامم المتحدة أن تصبر أو تصفح عن هذا العبث ، بل أن واجبها هو أن تضع حدا له ... من الضروري ردع المعتدي والاتحاد السوفياتي عازم على ذلك. وأي قرار يتخذه مجلس الامن او اجراء لمعالجة الموقف الطارئ ، يجب ان يؤيد ولا ينقض قرار الجمعية العامة الداعي الى تقسيم فلسطين وصون الدولة اليهودية الجديدة ... ان وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين أمر لا نقره ، فقد غدا لليهود دولة مستقلة رسمية نعترف بها قانونا ولسنا نملك الحق في منع اليهود من الهجرة الى بلدهم !!. ان وقف الهجرة اليهودية الآن الى فلسطين ... هوعمل غير قانوني. فمن حق الدولة اليهودية الجديدة أن تفعل م اتشاء في مسألة الهجرة اليها. ان الدولة اليهودية حقيقة قانونية نعترف بها وليس لمجلس الامن أن يفرض عليها أمورا ليست من اختصاص الامم المتحدة أصلا ، بل هي في صميم الحق الداخلي للدولة المستقلة. وحتى لو اتخذ مجلس الامن مثل هذا القرار – بمنع الهجرة الى فلسطين. فسيظل حبرا على ورق وكلاما اجوفا ... ان العدوان العربي المسلح في فلسطين مغامرة حاكتها الاوساط العربية الحاكمة. وقد تقدم الاتحاد السوفيتي بمشروع قرار الى مجلس الامن يأمر بوقف العدوان على فلسطين خلال ٣٦ ساعة. ونحن نرى أن واجب مجلس الامن وحقّه هو تحميل العرب وحدهم مسؤولية العدوان).

من خطاب غروميكو أمام مجلس الامن بتاريخ ٢٩ أيار ١٩٤٨ بعد اجتياز

الجيوش العربية حدود فلسطين دفاعا عن الحق العربي

(... اذا كانت أمريكا صادقة في موقفها من تأييد اليهود في دولتهم الجديدة في فلسطين فلم ترفض تدخل العسكريين السوفيات لضمان ذلك ؟ ان الاتحاد السوفيتي هو أول مؤيد وأكبر نصير وأثبت من دعا ويدعو الى التنفيذ والتأييد. لقد واجهت الولايات المتحدة الامريكية أعظم الصعوبات في جمع الاصوات الكافية لتأييد مشروع التقسيم في العام الماضي ، وكان لاصوات الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الشقيقة القول الفصل في نجاح القرار ...).

من خطاب غروميكو أمام مجلس الامن بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٨

(منذ البدء ظل الاتحاد السوفيتي داعيا الى تقسيم فلسطين والاعتراف بحق اليهود في أن يعيشوا بسلام مع العرب. غير أن مجلس الامن لم يؤيد التقسيم ولا ايقاف المعتدين العرب عند حدهم ، وكل ما فعله الاعضاء هو طلب الهدنة المؤقتة لبضعة أسابيع لردع المعتدين ردعا نهائيا. أن الاتحاد السوفيتي لا يوافق على الهدنة المؤقتة وانما يريد صلحا دائما بين العرب واليهود لان مصلحة الجماهير العربية واليهودية التقدمية مشتركة يصونها التعايش السلمي والاخوة التقدمية !! .. ان هدفنا وهدف الامم المتحدة من اقرار التقسيم كان خلق التعايش السلمي بين العرب واليهود ومنح اليهود حقهم الطبيعي والتاريخي في وطنهم فلسطين ولكن الاقطاع العربي تحدى قرارات الامم المتحدة واعتبرها مجرد قصاصة ورق يمزقها العدوان على الجماهير التقدمية.

... ان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة اللاجئين هي في حمل العرب على احترام قرار التقسيم وتوطين اللاجئين العرب وفق برامج ومشاريع يقوم بها العرب أنفسهم في الشرق الادنى وعلى أساس مبدأ التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية التقدمية في اسرائيل) !!

من خطاب يعقوب مالك المندوب السوفيتي أمام مجلس الامن بتاريخ ١٨ آب ١٩٤٨

(لقد وجدت اسرائيل لتبقى حيث موطن أجدادها ٠ ووجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط عنصر خير وسلام وأمثولة للجماهير العربية الطامحة الى التخلص من الاستعمار والرجعية. ان اسرائيل تسعى الى السلام والتعايش السلمي مع جيرانها العرب هؤلاء الذين يرفضون التعايش السلمي مع اسرائيل. وهذا الرفض مرده الى الاستعمار والرجعية في الحكم العربي. ولن يتخلف الاتحاد السوفياتي عن تقديم العون لاسرائيل وحركات التحرير العربية التقدمية لتنظيف الوسط العربي من الاستعمار ومن الرجعية العربية).

من خطاب يعقوب مالك أمام مجلس الامن بتاريخ ٢ كانون الاول ١٩٤٨

(لقد حاول الممثل السوفياتي أن يثبت لنا أن القوات العربية دخلت فلسطين لخلق الاضطرابات ولمنع اية تسوية سليمة ، ان هذا القول يخالف الواقع لأن الصهيونيين هم الذين

بدأوا الاعتداء. كما يظهر ذلك من تدفق الفرق العسكرية والمعدات الحربية المتواصل من أوربا الشرقية. ليس من الصعب أن ندرك لماذا طالب الاتحاد السوفياتي وبولندا بانسحاب القوات العربية بينما نرى الجيوش المدربة تدريبا ايديولوجيا معينا تصل يوميا من أوربا الشرقية لمساعدة الصهيونيين ... ان لدينا اثباتات لا تدحض على أن عددا كبيرا من جيوش الصهاينة وكمية كبيرة من أسلحتهم مصدرها أوربا الشرقية. ان هذا أمر ثابت لا يمكن انكاره ...).

من خطاب د. محمود فوزي أمام مجلس الامن في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٨

ثالثا : بعد قيام اسرائيل

كانت نسبة اليهود السوفيات عام (١٩٤٨) اكثر من ٨٠ بالمئة مما جعل وايزمان يصرح (ان الحركة الصهيونية في حقيقتها وجوهرها نشأت في روسيا ، وأن يهود روسيا كانوا العمود الفقري للكيان اليهودي في فلسطين منذ قيام الحركة). وقال الكولونيل (فوست برلمان) في كتابه (جيش اسرائيل) (انه لولا مساعدة الاتحاد السوفياتي للمنظمات اليهودية عام ١٩٤٨ بالسلاح والعتاد والرجال المدربين على القتال من نوع حرب العصابات ، لكان من المشكوك فيه أن ينجح اليهود في تنظيم الدولة اليهودية الجديدة).

وذكرت صحيفة هيرالد تربيون الامريكية ، في عددها الصادر في (٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٧١) أن ليفي اشكول ، رئيس وزراء العدو الاسبق ، اعترف بأن أعدادا كبيرة من اليهود الروس كانت تصل الى فلسطين المحتلة طوال السنين الماضية بمعرفة الحكومة السوفييتية وموافقتها. وقال أشكول في بيان أدلى به في البرلمان الاسرائيلي أن هجرة اليهود الروس الى الأرض المحتلة كانت تتم (بصورة سرية) لئلا تصل الى مسامع الدول العربية فتتدخل لدى الحكومة السوفياتية لوقفها.

وذكرت مجلة فلسطين (نيسان ١٩٦٧) أنه خلال زيارة كوسيغن لباريس في شهر (كانون الاول ١٩٦٦) اجتمع به عدد من اقطاب اليهودية العالمية والحوا عليه بوجوب (اعادة) السماح بهجرة اليهود من روسيا الى فلسطين ... وقد نجم عن هذه الاتصالات أن حصل اليهود على وعد كوسيغين بسماح الاتحاد السوفيتي بهجرة اليهود الى فلسطين.

وذكر الكاتب الاسرائيلي مردخاي ابو شاؤول (مجلة كوها عام الاسرائيلية ٨ آب ١٩٦٥) (ان اكثر من مسؤول سوفياتي كبير أكد له بأن موسكو لن تخذل اسرائيل ابدا وسيجدد السوفييت يوما ما معونتهم الخطيرة لاسرائيل لتصفية القضية العربية الفلسطينية ، على نحو المعونة الخطيرة التي قدمتها موسكو للدولة اليهودية يوم مولدها).

قالت صحيفة الهامشمار الاسرائيليلة عام (١٩٦٤) (فهذه الانظمة التي تحيا على السلاح السوفياتي والذخيرة والمعونات والقروض السوفياتية ، كما تحيا على العقيدة الماركسية السوفياتية ، عاجزة عن التصرف في أي عمل عسكري ضد اسرائيل).

في حديث أدلى به الملحق العسكري السوفياتي في باريس عام (١٩٦٤ بتاريخ ٢٢ كانون الثاني) الى صحيفة (معاريف) الاسرائيلية – وكان ليفي أشكول رئيس وزراء اسرائيل السابق يزور فرنسا ليعقد فيها صفقة سلاح كبرى – قال الملحق الروسي :

(ان اسرائيل أيضا تستطيع أن تشتري منا السلاح فالقضية عندنا هي المتاجرة به. ونحن نبيع الجمهورية العربية المتحدة وغيرها ممن يبحثون عن السلاح ، وليس في تجارتنا به

أي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية. اننا على أتم الصلات باسرائيل ولم يصدر عنا ولن يصدر مع مصر أو غيرها ما يسيء أو يضر بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل. هذه هي القاعدة في سياستنا نحو الشرق الاوسط. اننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية فحسب ولا نشاركهم ولن نشاركهم في العدوان على اسرائيل. ولقد كان موقفنا منذ البدء معارضا أشد المعارضة للعدوان العربي الرجعي. ولم يقتصر هذا الموقف على العمل الديبلوماسي في الامم المتحدة بل نحن أعربنا عن تأييدنا اسرائيل بالسلاح أيضا والعتاد والرجال في اشد أوقات الازمة الفلسطينية يوم كانت حركة التحرير الوطني اليهودي في امس الحاجة الى هذا العون. ان ما قدمناه ونقدمه للجمهورية العربية من سلاح هو لاغراض دفاعية ! ولن نسمح باستخدامه ضد اسرائيل. واذا احتاجت اسرائيل السلاح فليس لدينا ما يمنع من ان نبيعها اياه. ولكن اسرائيلاآن ليست بحاجة اليه لأنها تحصل على حاجتها وما يفوق حاجتها من مصادر صالحة لها. ولا نعارض هذا لأن ما نبغيه هو سلامة اسرائيل. لا تنزعجوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية فهذه السياسة متممة بل هي ضرورة لسلامة اسرائيل) ...

في (تموز ١٩٦٥) ذكرت الصحف الاسرائيلية أن الاتحاد السوفيتي أعار عالما ذريا يهوديا هو الدكتور لاندو للتدريس في معهد وايزمن والمشاركة في ابحاث اسرائيل الذرية وانتاجها. وقبل ذلك بعام (١٩٦٤) عقد الاتحاد السوفياتي صفقة دينية مع اسرائيل باعها فيها ممتلكات الكنيسة الارثوذكسية في القدس والناصرة وحيفا ، وألقى السفير السوفياتي في تل أبيب خطابا بالمناسبة أكد فيه أن هذه الاتفاقية تشكل اعترافا راسخا بكيان اسرائيل المستقلّ وبحقها أن ترث الممتلكات والنفوذ التقليدي لأي طرف اجنبي سبق ان كان له في الماضي بعض الامتيازات.

وفي (١٩ حزيران ١٩٦٧) حدد أليكسي كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة موقف دولته من اسرائيل فقال (وان الاتحاد السوفياتي طيلة الأعوام الخمسين من تاريخه يكن الاحترام لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها. ولكل شعب الحق في تأسيس دولته الوطنية المستقلة ... ولقد حددنا في هذا المبدأ بالذات موقفنا من اسرائيل كدولة وصوتنا في عام (١٩٤٧) الى جانب قرار هيئة الامم المتحدة بقيام دولتين مستقلتين يهودية وعربية في اراضي فلسطين التي كانت مستعمرة بريطانية. وأقام الاتحاد السوفياتي بعد ذلك علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل اهتداء منه بذلك الموقف المبدئي). ولقد أدركت صحيفة (كول هاعام) الاسرائيلية أن جوهر سياسة الاتحاد السوفياتي هو في مصلحة اسرائيل ، بأكثر مما آدرك بعض العرب ، فكتبت بتاريخ (١٨ آب ١٩٦٥) تقول ان في اسرائيل والاتحاد السوفيتي مكاتب وهيئات ومنظمات شبه رسمية ورسمية متفرغة ، مهمتها تعزيز الصلات السوفياتية – الاسرائيلية في جهد متصل ومنظم. وتابعت الجريدة تقول (أن اسرائيل

حكومة وشعبا تعلم أتم العلم أن ازياد نفوذ السوفيات سياسيا واقتصاديا هو في المرحلة النهائية. وفي المرحلة الراهنة أيضا ، لمصلحة اسرائيل ويعزز أمنها وسلامتها تعزيزا أكيدا) !!!

والاتحاد السوفياتي لم يعترف ، وأصر الى النهاية على موقفه بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ورفض أن تفتح المنظمة مكتبا لها في موسكو. كما هو رفض ويرفض تدريب الفلسطينيين عسكريا مهما كانت هوياتهم السياسية وانتماءاتهم التنظيمية. وفي مطلع عام (١٩٦٦) بلغ رفض فلسطين بالاتحاد السوفياتي درجة اعتذر فيها المسؤول في وزارة الخارجية الروسية عن شؤون الشرق الوسط عن استقبال مسؤول عن منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد وجهت اليه الدعوة لزيارتها من لجنة التضامن الآسيوي – الأفريقي ، السوفياتية. وكان الاعتذار استجابة لاحتجاج السفير الاسرائيلي في موسكو على دعوة ممثل المنظمة.

يقول دافيد هاكوهين رئيس لجنة العلاقات الخارجية ولجنة الدفاع في الكشيت وقطب حزب الماباي : أن حاجة اسرائيل للاتحاد السوفياتي كحاجة الاتحاد السوفياتي لاسرائيل هذه القاعدة راسخة وقديمة في العلاقات بين البلدين. ولن ننسى أن موسكو كانت اول من اعترف باسرائيل وحين يجيء الوقت المناسب فسيلعب الاتحاد السوفياتي اكبر دور في تصفية المسالة الفلسطينية التي تتاجر بها الرجعية العربية. ونحن وموسكو على يقين بأنه لن يكون بيننا أي خلاف أو اصطدام على المشاريع المرسومة والمفهومة مسبقا لاقرار التعايش السلمي وتصفية المشاكل في الشرق الاوسط.

ترى هل كان (عدوان ٥ حزيران) هو (الوقت المناسب) وهل كان العدوان بالتحريض الروسي أولا ثم بالنصيحة الغالية ثانيا بداية (لاقرار المشاريع المرسومة والمفهومة مسبقا) ؟

صرح أبا ايبان في المناسبة الاولى اذكرى الخامس من حزيران بأنه (لا يمكن أن يكون أدنى شك في أن حرب الايام الستة ولدت في دمشق وموسكو قبل أن تصل الى مسرح القاهرة). وقد ذكرت مجلة تايم أنه في الساعة الثامنة من صباح يوم العدوان رن الهاتف في غرفة نوم الرئيس جونسون ، وكان المتكلم هو كوسيغين فقال (ان روسيا لا تريد ان تتدخل في النزاع) فرد عليه جونسون (والولايات المتحدة لا تنوي التدخل أيضا). وقد استمر تبادل وجهات النظر بين أمريكا وروسيا في ذلك اليوم – عبر التلفون الاحمر– حتى زاد عدد المكالمات بين جونسون وكوسيغين عن ١٢ مكالمة تم الاتفاق فيها على ضمان النصر لاسرائيل وعدم اسقاط الانظمة الثورية في البلاد العربية !

كتب دايان في مجلة (كيشيت) الاسرائيلية عام (١٩٦٩) (يعتمد الوجودالاسرائيلي منذ البدء على التفاهم مع القوة الدولية التي لها مركز النفوذ في الشرق الاوسط. فعندما كانت بريطانيا هي صاحبة النفوذ هنا. تفاهمنا وتعاونا معها ، فلما ذهب نفوذها اتجهنا الى التعاون مع القوة الجديدة (أمريكا) في المنطقة. ولما أخذ النفوذ الامريكي يضعف ويحل محله النفوذ الروسي.

كان لابد لنا أن نتفاهم مع السوفيات. ومن السخافة أن يقال بأن السوفيات ليسوا مستعدين للتعاون والتفاهم معنا رغم هذه الضجة التي يتاجر بها السوفيات في أسواق السياسة العربية. فالاتحاد السوفياتي يؤيد وجود اسرائيل ويؤيد أيضا خلق الدولة الفلسطينية العربية الاشتراكية في القطاعات التي سنتنازل عنها في التسويات السلمية).

وفي (١٤ آب ١٩٦٩) اذاع راديو موسكو مقالا حول موقف السوفيات من (الدولة الفلسطينية العربية) جاء فيه (ولا بد لاسرائيل أن تتعاون مع الحركة التقدمية الفلسطينية (الحزب الشيوعي) في خلق الدولة العربية الفلسطينية لتتعايش سلميا مع دولة اسرئيل ، وإلاّ فان الشخصية الفلسطينية ستصبح فريسة الرجعيين والمغامرين في حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة التي لها قيادات رجعية مشبوهة).

وها كم – أخيرا وليس آخرا – ما قاله السفير السوفياتي (ديمتري شوفاخين) في تل أبيب، حين خطب في المؤتمر السنوي اليهودي العالمي الذي انعقد في اسرائيل في (منتصف شهر آذار من عام ١٩٦٦) ، كما نقلته مجلة (جويش كرونيكل) عدد (١٨-٣-١٩٦٦) ونقله مراسل (الايكونومست) البريطانية عدد (١٨-٣-١٩٦٦) :

" دعوني أقول لكم بكل صراحة أن الاتحاد السوفياتي حكومة وشعبا وبلا نفاق ورياء يحب اسرائيل حبا جما ، ويعجب أشد الاعجاب بكل ما حققته من عمران وبناء وعدالة وسؤدد في أرض الآباء والاجداد اليهود ... اني أناشدكم هنا في اسرائيل وفي الوسط اليهودي في كل مكان أن تؤيدوا بكل قلوبكم سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق العربي لأنها سياسة فيها كل النفع وكل الخير لاسرائيل ولليهودية العالمية ... فانهزام العصبية العربية الدينية والقومية مفيد جليل الفائدة لاسرائيل ولأنصارها في كل مكان وفي الاتحاد السوفياتي بصفة استثنائية ...

" ... يجب أن لا يداخلكم في اسرائيل ، او في أي وسط يهودي عالمي ادنى شك في اننا سنتعمد ونسعى وسننجح في معادلة القوة الاسرائيلية بالقوة العربية وخصوصا في مسألة التسلح الذري ... فأطمئنوا ... وسياسة الاتحاد السوفياتي هو تجميد الطاقات العسكرية في الشرق الاوسط ... ولو بأي الوسائل الفعالة على تحقيق هذا الهدف ... فأقوى الدول العربية تسلحا تعتمد على الاتحاد السوفياتي في السلاح والعتاد والخبرة الفنية ... والاتحاد السوفياتي قادر على ضبط أي شطط عربي) ...

تماما كما أن امريكا قادرة هي الاخرى ، ومن جهتها ، على ضبط أي شطط عربي ، وواثقة بأن الجانب العربي الرجعي سوف لن يشتط في العداء لاسرائيل !!

رابعا : من مواقف الاتباع

(١) نموذج لموقف الاحزاب الشيوعية العربية

في (١٣ نيسان ١٩٥٠) كتب خالد بكداش ، زعيم الحزب الشيوعي السوري ، في توجيه للحزبيين يقول (مظاهرات الطلاب : جاء من بين الهتافات التي ألقاها أخواننا هتاف ضد اسرائيل ربيبة الاستعمار الامريكي. وهو شعار يدعو الى التفكير العميق. فهل هو شعار صحيح ؟ كلا. لا اعتقد أنه شعار صحيح. فإذا كانت حكومة اسرائيل هي حكومة تسير في ركاب الاستعمار الامريكي ويسيطر عليها الاشتراكيون اليمينيون الصهيونيون ، فليس معنى ذلك أن من الواجب اسقاط اسرائيل كلها. وهاك مثالا يصور القضية : ان عبدالله ونوري السعيد هما ربيبا الاستعمار الانكليزي وخادماه. فهل نهتف ضد العراق ربيب انكلترا ؟ ان اسرائيل مثل كل دولة أخرى رأسمالية مؤلفة من طبقات : فهناك الطبقة الرأسمالية والمستوردين إلى آخره ... ثم خدم الاستعمار. وهناك طبقة العمال والشغيلة الذين تتناقض مصالحهم مع مصالح الاستعمار وخادمته البورجوازية الاسرائيلية. وطليعة العمال والشغيلة ، أي الحزب الشيوعي في اسرائيل ، تناضل الاستعمار ولأجل السلم وضد خيانات الطبقة إلى اسرائيل كوحدة. واذا نظرنا كذلك فمعناه أننا ننظر نظرة قومية لانظرة طبقية ولا نظرة بروليتارية. هذا شيء هام وأرجو أن تكون هذه القضية موضوع نقاش بينكم ...).

(٢) نوذج لموقف الاحزاب الشيوعية الغربية

قالت مجلة نيوزويك الامريكية ، اليهودية الادارة والتوجيه ، في عددها المؤرخ (١٨ كانون الثاني–١٩٧١) ، بصدد اليهود الذين أسهموا بمحاولة اختطاف احدى الطائرات السوفياتية، وحكم على اثنين منهما بالاعدام !! (ان هناك العديد من الامريكان المختصين بالشؤون السوفيتية يعتقدون أن استنكار زعماء الاحزاب الشيوعية الغربية لأحكام محكمة (لينغراد) هو وحده العامل الرئيسي الذي جعل الزعماء السوفيات يعدلون ، خلافا لما عرف عنهم). ترى ... لماذا لم يتدخل زعماء الاحزاب ولو مرة واحدة ، دفاعا عن مختطفي الطائرات الفلسطينيين وهم يقتَّلون ويذبحَون على أيدي العصابات اليهودية ؟!

(٢)
الملحق الثاني

شهد القارئ – في نهاية بحثنا هذا – ملحقا بالقيادات والمواقع والتاثيرات اليهودية في المعسكر السوفيتي وفي تنظيماته الماركسية ... اما التسلط اليهودي في الساحة الامريكية فاظهر من يؤكده انسان ... ولكننا نحب ان نعرض هنا – بايجاز – لما تشهده هذه الساحة ، بعد سنوات من كتابة هذا البحث ، مقتبسا عن مجلة (الصاعقة) الامريكية التي تصدر في ولاية جورجيا (نقلا عن مجلة المجتمع ، عدد٣٤١ السنة السابعة ، ١٩٧٧). فقد كشفت المجلة النقاب عن اربعة من اليهود الصهاينة اختارهم كارتر في حكومته واسند اليهم اهم الوظائف الادارية والسياسية والعسكرية والمالية : الدفاع والمخابرات والخزانة والطاقة. وقد عرضت المجلة لعدد من الحقائق عن هؤلاء الاربعة نكتفي بقدر منها :

فهارولد براون ، الذي عين وزيرا للدفاع ، يهودي روسي الاصل. وابوه يحمل اسما يهوديا حقيقيا وهو غير معروف حاليا ، أما أمه فهي يهودية واسمها الحقيقي جيرترود كوهين. وقد اشتهر براون وذاع صيته في كاليفورنيا وذلك عندما سمح لرابطة اليهود المسماة (ابناء الميعاد) استعمال اسمه كعضو فيها كتجربة لاذلال المسيحيين الذين يسيطرون على النادي المعروف باسم (نادي كاليفورنيا). وقد اخفت الصحف والاخبار اليومية الحقائق عن انه متأصل من دم يهودي مثلما اخفت نشاطه كصهيوني كذلك. وهو يعمل– كذلك – على احضار الماركسي اليهودي عالم الطبيعة بنجامين ليفش الى امريكا. وقد عرف عن براون انه كان معارضا في مشكلة الصواريخ وتطويرها. مع ان معظم الخبراء كانوا مقتنعين بان هذه الصواريخ ستكون سلاحا فعالا رادعا ضد اي هجوم روسي محتمل. وفي نفس الوقت فان براون يعرف عنه انه يمثل (صقر) اسرائيل ، وانه سوف لن يتردد في انتهاجه نفس السياسة التي انتهجها شلزنجر بشحن ومد اسرائيل بكل ما تحتاجه من التجهيزات العسكرية والحربية ، وبراون – كذلك – عضو رئيسي في جمعية سرية يهودية لرجال الاعمال – الاخاء اليهودي – والتي لا تقبل الا اليهودي فقط عضوا فيها. وكان يعمل تحت اشراف المفكر اليهودي ادوارد تيلر قبل ان يصبح رئيسا لمعهد كاليفورنيا التكنولوجي ومنه الى وزارة الدفاع في عهد وزيرها الاسبق مكنمارا ، كما كان وزيرا للدفاع الجوي في عهد جونسون. وكان محاميا ذائع الصيت في اتفاقية نزع السلاح مع روسيا ، حتى ان جورج ميني ، رئيس اتحاد العمال في امريكا ، انذر كارتر بان براون ينتهج سياسة لينة مع الاتحاد السوفيتي والشيوعية !!

أما اليهودي الثاني مايك بلومنثال ، وزير الخزانة الجديد ، فكان يطمع منذ مدة طويلة للقبض على هذا المنصب ، وهو يشبه كيسنجر ، فقد ولد في المانيا وهاجر مع عائلته الى امريكا فاصبح من ضمن الستة ملايين يهودي الذين عاموا بالثراء الفاحش في العالم الجديد. وكان قد اشترك في جنيف في المفاوضات بين الشرق والغرب بشان التجارة في عهد كندي وجونسون ، وهو من العاملين على تقوية التجارة مع الاتحاد السسوفيتي !! ويتمتع بعضوية مجلس العلاقات الخارجية وعمادة مؤسسة روكفلر ، وفي عهد جونسون اعتزل منصبه بسبب معارضته للحرب الفيتنامية حينذاك !! وقد اوردت مجلة (الحظ) عام (١٩٧٢) ان بلومنثال كان قد زار روسيا وذلك في محاولة للحصول على امتيازات تجارية لشركة بندكس المشهورة حيث كان رئيسها آنذاك. ومن المعروف عنه انه يساري متطرف في كل اتجاهاته السياسية !! وانه ميال للاعتراف بالرئيس كاسترو زعيم كوبا. واما تيودور سورنس. مدير المخابرات المركزية ، فانه – كما تقول المجلة – لا يتمتع بأي من الكفاءات التي تؤهله لهذا المنصب ، وهو يهودي متطرف وعضو في حزب التحرر اليهودي وكان متحدثا باسم الرئيس كندي ، كما كان كاتبا كذلك ، الا انه كان خداعا في احاديثه ومراوغا وغشاشا وخائنا ومضللا !! وهو من المعارضين في استعمال القوات المسلحة الامريكية لتحارب من اجل اي قطر خارجي آخر (ما عدا اسرائيل طبعا). وكان ، اثناء الحرب الكورية ، فارا من الجندية ومقاوما للحرب حيث ادعى ذلك لانه ذو ضمير حي !! وقد اكتسب سورنس شهرة كبيرة في الصحف اليهودية التي اولته غاية اهتمامها عندما زار روسيا ليبحث عن اقارب أمه فيها !! حيث ان أمه آناجايكين ولدت هناك. وقد قال سورنس انه يتمنى ان يتعرف كثيرا على اصله ونسبه واجداده !! وعندما اتخذ كندي قراره الشهير بفرض الحصار على كوبا حاول سورنس ان يثنيه عن قراره هذا ، كما كان يعارض اية جهود يقوم بها كندي لكسب الحرب الفيتنامية. وبسبب من انه صهيوني يجري في عروقه الدم اليهودي فانه بلا شك سيكون نصيرا فعالا تجاه اسرائيل بكل مشاعره وسيصبح الممول والسند القوي لها.

أما رابعهم ، جيمس شليز نجر ، الذي اختاره كارتر رئيسا للطاقة والبحث العلمي ، فقد قام بتزويد وشحن التجهيزات العسكرية الامريكية الى اسرائيل عندما كان وزيرا للدفاع في عهد نيكسون. وكانت تلك الصفقة الهائلة سببا في اثارة الجنرال جورج براون رئيس الاركان في (١٨ تشرين الاول ١٩٧٣) عندما صرح آنذاك في مدينة ميامي بفلوريدا وكشف عن هذه الصفقة التي سببت عجزا بالغا في تجهيزات اميركا العسكرية. وقد كشفت مجلة (الاستعراض). النقاب لامل مرة ، عن ان شليزنجر صديق حميم لليهودي دانيال السبرح الذي سرق وثائق البنتاغون حديثا حيث كشف بذلك اسرار امريكا الهامة وكشف النقاب عن مخططها الحربي ضد الشيوعية في فيتنام !!

ويستطيع القاريء ان يلحظ ملامح (اللعبة) من خلال مواقف الصهاينة الاربعة ، وغيرهم كثيرون جدا ، هناك ، في القمة وفي القاعدة سواء ... وابرز هذه الملامح – ولا ريب – هي اجماع هؤلاء الزعماء الصهاينة على تعميق سياسة الانفراج بين امريكا والاتحاد السوفيتي ، من خلال الحد من التسلح الامريكي ، وتضييق الخناق على دور امريكا العسكري والاستراتيجي في العالم في صراعها مع المعسكر الاشتراكي ، حتى لو اقتضى ذلك سرقة الوثائق السرية وفضح الخطط العسكرية. ومن خلال توسيع نطاق الصفقات التجارية المقترنة بقدر كبير من التسهيلات للصديقة الجديدة !!

ونلحظ كذلك علاقات الصداقة والقربى التي كانت تربط هؤلاء بمعارفهم في روسيا ، والزيارات الودية التي كان بعضهم يقوم بها الى وطنه الثاني : روسيا!!

ترى ... هل ان هذه اللعبة لا تعدو ان تكون جانبا محدودا فحسب من ستراتيجية صهيونية واسعة النطاق ، تقوم على تدمير عناصر الصراع بين المعسكرين والسير بهما صوب مزيد من التقارب (التكتيكي) لتحقيق هدفين اساسين :

اولهما تسخير كلا المعسكرين ، بشكل أكثر طواعية من ذي قبل ، لنحقيق اهداف الصهيونية ، وثانيهما مزيد كسب للظهير الشرقي ، الشيوعي ، للصهيونية ، واعتماده ، كخط رجعة استراتيجي ، من خلال تقليم الاظافر الامريكية ، وتقديم تسهيلات واسعة النطاق ، واعتماد سياسات (يسارية) في الداخل والخارج !! وذلك في حالة توتر العلاقات بين الصهيونية وبين ظهيرها الصليبي – الراسمالي ؟! وهل امسكت الصهيونية بالثور من قرنيه ، القرن الروسي والقرن الامريكي ، ووضعته تحت السرج ، كما تنبأ حكماء صهيون ؟